محاضرات

مقرر: تاريخ الفكر الاجتماعي

د. سوسن البيطار

المستوى الثالث – علم اجتماع

2014 – 2015

nadeel alhafea

المحاضرة الأولى بعنوان

تمهيد عن طبيعة التفكير الاجتماعي في الشرق القديم

ما المقصود بالتفكير الاجتماعي؟

التفكير الاجتماعي:

سلسلة متعاقبة من الأفكار الاجتماعية الأولية والآراء والقيم، التي ظهرت في الحضارات القديمة الشرقية عند اليونانيين القدماء، الهنود الرومان وغيرهم. وفي كل أطوار التفكير الاجتماعي ، كان الاهتمام بسعادة المجتمعات الإنسانية ، وتصحيح البيئة الاجتماعية ، لتوفير أكبر قدر ممكن من السعادة للإنسان. وقد تأثر التفكير الاجتماعي بمجموعة الظروف السياسية و الثقافية، وكذلك بالظروف الاجتماعية الاقتصادية السائدة ، مثل أنماط الأنشطة الاقتصادية، و توزيع الملكية وعلاقات العمل ، إنه التراكم المعرفي الاجتماعي والسياسي والفكري.

أولاً : نشأة الفكر الاجتماعي

نشأ علم الاجتماع كغيره من فروع المعرفة الإنسانية الأخرى، بين أحضان الفلسفة.

لكنه استطاع فيما بعد بفضل منهجه وبحوثه وظواهره المختلفة الانفصال عن الفلسفة.

ومع هذا لا بد عند التأريخ لعلم الاجتماع من الوقوف عند تطور التفكير الاجتماعي في مراحله المختلفة، واستعراض نظريات أهم الفلاسفة القدامى الذين مهدوا لبلورة الوعي الاجتماعي وصياغته كعلم قائم بذاته.

لقد اجتاز علم الاجتماع تاريخاً شاقاً بين المعارضة والتأييد فيما يتعلق بنشأته واستقلاله.

وهذا يرجع إلى اعتقاد الناس بأن الظواهر الاجتماعية لا تخضع إلى قوانين ثابتة كالعلوم الأخرى.

لقد كانت البحوث الاجتماعية طوال العصور الماضية مجالاً للآراء الشخصية وأهواء الباحثين وكانت في معظم مراحلها مختلطة بالدين والفلسفة هذا شكل عثرة في تقدمها.

ومع ظهور آراء ابن خلدون وأفكاره التي كانت تتضمن أن المجتمع يمثل جزء من الطبيعة والنظام الكوني ، ولابد من خضوعه وخضوع نظمه وظواهره إلى قوانين ثابتة.

فأنشأ ما سماه بعلم العمران .. ولكن لم تنل أفكار ابن خلدون التقدير والمتابعة ، فأهملت وعادت البحوث والدراسات الاجتماعية إلى الدين والفلسفة.

ولكن جاء الفيلسوف الفرنسي (أوجست كونت) فخلصها من جديد وانشأ ما سماه علم الطبيعة الاجتماعية أو علم الاجتماع. ومن هذا الوقت حتى وقتنا الحاضر زاد الاهتمام بالدراسات والبحوث الاجتماعية والفكر الاجتماعي حتى اكتمل نمو العلم وأصبح علم الاجتماع مستقلاً يركز على حل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للشعوب ودراسة الظواهر الاجتماعية.

hadeel alnafea

ثانياً: أصول وطبيعة الفكر الاجتماعي في الحضارات المختلفة:

رجع الكثير من المفكرين عند بداية الكتابة في تاريخ الفكر الاجتماعي إلى دراسة الفلسفة اليونانية بوصفها أول صورة للتفكير الإنساني المنظم، غير أن هذا الاتجاه من شأنه أن يقلل من عظمة الفلسفة الشرقية السابقة في الظهور على فلسفة اليونان.

في الواقع تعتبر بلاد الشرق التربة الأصلية التي نشأت فيها بذور الفلسفة ثم انتقلت إلى بلاد اليونان، حيث نمت ونضجت.

لقد ظهرت قديماً في بلاد الشرق التي تميزت بالمدنيات العريقة، طوائف من الحكماء والفلاسفة، الذين تناولوا موضوعات في الفلسفة الاجتماعية لا تقل أهمية عن ما تناوله فلاسفة اليونان.

في مصر القديمة مثلاً ترك حكماؤها وصايا وحكم لا تزال حتى الآن من مقومات الحياة الاجتماعية وتهدف إلى إسعاد البشر، ووضع الفراعنة التشريعات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي أعانتهم على الاحتفاظ بأعباء الحكم لأجيال طويلة.

أما في الهند نجد صوراً مختلفة من العقائد والأديان والأفكار التي أنتجت ألواناً متنوعة من العادات والتقاليد وأساليب التفكير والعمل وظهرت بصورة ملموسة في المعاملات والعلاقات الاجتماعية والنظم السياسية والإدارية وكما أثرت على العقول الهندية لدرجة أنهم اهتموا بتربية الأجيال على العبادة أكثر من تربية المواطن الصالح.

وفي الصين القديمة طوائف من الفلاسفة والحكماء الذين عالجوا الكثير من مسائل الأخلاق والسياسة وشئون المجتمع وكانوا في تفكيرهم واقعيين وعمليين عكس الهنود.

الفكر الاجتماعي في مصر القديمة:

إن مصر بلد زراعي، والفلاحة والعنصر الأساسي فيها. فقد كان الفلاح مرتبطاً بحيوانه ونباته وكان متمتعاً بحياته الاجتماعية، يغني ويرقص في الحفلات ويقدم القرابين ويشارك في الطقوس ويقدم على المشاركة في الحرب والصيد.

وبجانب الزراعة زاول المصريين القدماء التجارة والصناعة واستفادوا من النيل في ممارسة الأنشطة الاقتصادية والسياسية والأخلاقية وظهور المعاملات الإنسانية وكانوا دائماً هدفاً لغارات القبائل النازحة من آسيا مما أتاح لهم فرص الاحتكاك بشعوب أخرى مما يزيد من تبادل الآراء والعقائد الذى يؤدي إلى زيادة المعارف والفنون واستحداث كثيراً من طرق التفكير والعمل ومطالب الحياة الاجتماعية.

إن سكان مصر القديمة (سكان الدلتا) وصفوا المدينة بأنها وحدة سياسية قبل أن يعرفها اليونان وكانت المدن تتمتع بالاستقلال الذاتي وكانت بمثابة مراكز اجتماعية وتجارية.

ومع توحد البلاد أصبحت مصر امبراطورية كبيرة فمن الطبيعي ظهور بعض المفكرين الذين لا يتفقون مع الفرعون ورجال حكومته في السياسة الداخلية والخارجية مما أدى إلى ظهور التيارات السياسية والاجتماعية.

وكما قامت الثورة المدنية على أيدى الأسر الحاكمة التي حددت الخطوط الرئيسية الدينية والعقيدية والاقتصادية والسياسية لحياة الشعب وظهرت نتائجها في بعض الميادين التجارية والصناعية والزراعية والفن والأدب وأثرت على كل مظاهر الحياة الاجتماعية.

nadeel alnafea

إن الآثار التي تركها المصريون القدامى توضح لنا ألوان التفكير الاجتماعي عندهم وتوضح حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية وطقوسهم الجنائزية وهذا ما ورد في كتاب الموتى، فقد كانوا يركزون على نظرية (الإله الحاكم) وهذا يدل على أن التفكير الاجتماعي لديهم متصل بالدين.

كما كان الشعب المصري عملياً بمعنى أنه يفضل العمل وكما امتاز بحسن السياسة وفن الإدارة وكان للنظام الأسري الفضل في دعم الحياة الاجتماعية. حيث كانوا يهتمون بالمشاركة الوجدانية وعواطف حب الغير والعمل الإنساني.

hadeel almafea

المحاضرة الثانية بعنوان

الفكر الاجتماعي في مصر القديمة

كانت نظرية الطبقات سائدة في هذا الوقت وكانت مرتبطة بالأفكار السياسية وقسموا المجتمع إلى طبقتين:

الطبقة القدسية التي تشمل الفرعون وأنساله وكهنته (رجال الدين)

أما الطبقة الثانية تسمى **الطبقة الأرضية** وهى طبقة عامة الشعب كالزراع والتجار والجنود، ومع ظهور قادة من أبناء الشعب أدى إلى ضعف الطبقة المقدسة وأصبح المجتمع مكونًا من ثلاث طبقات (الحكام ، رجال الدين ، عامة الشعب).

وفى عصر الملكية الحديثة ظهرت طبقة رابعة وهي طبقة الجند وكان لتدخل هذه الطبقة في شؤون المجتمع ومحاولة فرض سيطرتها عليه أثر في توجيه الشعب نحو حركات المقاومة السلبية، وظهرت كثير من الحركات الوطنية وزاد خطرها في عهد الحكم البطلمي.

وكان الفن المصري يوضح التفكير المصري القديم وأن الشعوب القديمة استعارت فنونها من الفن المصري، أما الأدب فكان من مظاهر الإنتاج التي تبين عظمة التفكير المصري القديم وظهور كثير من الحكماء والفلاسفة مثل "أمينحتب" و"بتاح حتب"، وترك هؤلاء قصص أو نصوصا تمثل الإنتاج الفني مثل قصة سنوحى والأخوين والحق والباطل وأيضا ظهور كتب الأدب الديني (نصوص الأهرام والتوابيت وكتاب الموتى).

وكان هناك عاملين تسببا في تطور الفن وهما:

العامل الأول: اتساع نطاق الإمبراطورية المصرية واحتكاك المصريين بشعوب أجنبية مما أدى إلى كثرة استخدام الكلمات والمصطلحات الأجنبية.

أما العامل الثاني: هو ضرورة إعداد جيل من الشباب المثقف للعمل بدواوين الحكومة.

أما من الناحية التشريعية فكان تعاليم الملك هو التشريع الأمثل فمثلاً أصدر مرسوم "حور محب" لإعادة الأمن للبلاد والقضاء على الرشوة والفساد واستغلال النفوذ وقام المصريين **بمحاولتين** لتجميع القوانين والتشريعات:

الأولى: قام "بوخوريس" مؤسس الأسرة الرابعة والعشرين.

أما الثانية: قام بها أحمس وهذا يدلنا على قيمة الوحدة القانونية في دعم الوحدة الاجتماعية وتحقيق المساواة وقد ظهر هذا في تنظيم الهيئات الشعبية التي تهدف إلى الإصلاح والتنظيم الإداري والقانوني.

لم يهتم المصريون بالتفكير الاجتماعي فقط بل اهتموا أيضاً بالتفكير في شؤون الفلك والطبيعة والهندسة وعملوا خرائط

جوية ووصلوا إلى كثير من القضايا الهندسية والرياضية كما اهتموا بالطب أيضاً والعلاج المنزلي والإسعافات الأولية والجراحة، فإن البردية (أدوين سميث وبردية إيبرس) يعتبران من أقدم الرسائل الجراحية في تاريخ الإنسانية.

ولكن المصريين القدامى لم ينظموا عملهم ولم يصلوا إلى فكرة العلم المنظم التي وصل إليها مفكرو اليونان ولكن انتجوا المصريين القيم الروحية والإنسانية والفلسفية والعلمية والوصايا والحكم التي تهدف إلى إسعاد البشر واعترف الرومان

hadeel ahmed

بأنهم استفادوا من فنون وآداب وتشريعات المصريين ولذا كان انهيار الحضارة المصرية القديمة حزناً للشعوب التي اعترفت بالمجد والعظمة والسلطان وعرفاناً بالجميل والفضل والتسامح.

التفكير الاجتماعي في الهند

التفكير الاجتماعي في الحضارة الهندية:

كتب "الماجسطى" عن الهند ووصفها وصفاً ممتعاً وأوضح مظاهر الحضارة في عهد الملك " نشاندراجوتيا" الذى هاجم جيش الإسكندر أما العالم الهولندي " إبراهام روجر" ألف كتاباً عن عادات وتقاليد وديانات الهند وكان عنوانه "باب مفتوح إلى الوثنية الخبيثة" وهذا الكتاب شجع العلماء على دراسة التراث الأدبي والفني والفلسفي والديني للهند.

فمثلاً قام العالم "جونز" بترجمة كتاب "شا كنتالا" المنسوب إلى الشاعر "كاليداسا " وأدى ذلك إلى زيادة الاهتمام بدراسة الآثار الهندية الأدبية والفلسفية مثل زيادة المعرفة بالكتب والأشعار المعروفة باسم" باجافاجيتا" وهي من أهم الآثار الأدبية والفلسفية التي تحتوى على أدق النظريات الصوفية والدينية التي عرفت عن الهند.

ولقد قام العالم "ولكنز" بترجمة هذه الأشعار إلى الانجليزية ثم ترجمها "آلاب بارود" إلى الفرنسية وقام العالم "شلجل" بترجمتها إلى اللاتينية وكتب عنها العالم "كوزران" في كتابه "تاريخ الفلسفة" ومن الآثار الهندية قوانين "مانو أو تشريعات مانو" وكما أكتشف "سيرجون" أثناء أعمال الحفر والتنقيب في منطقة "موهنجو دارو" أن حضارتها تشبه حضارة مصر في عهد الأسرة الرابعة.

تتميز الهند بآدابها القديمة وتراثها الفلسفي، وتشريعاتها المعروفة باسم قوانين "مانو"

قوانين مانو أو المانوية هي من أقدم التشريعات الهندية التي وضعتها طائفة البراهما للتعرف على قواعد الحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد والأعراف.

من أهم النظم التي تناولتها تلك القوانين هي ما يعرف باسم "التقسيم الطبقي".

فقد حدد الدين البراهمي قواعده ورسم حدوده ونظم العلاقات بين الطبقات الاجتماعية. وصورت المانوية هذا النظام على أنه وحي من الإله براهما نفسه.

نحن ندرك أن في الهند يوجد ما يسمى بالمنبوذين سنتحدث عن هذه الفئة وتقسيم مانو لطبقات المجتمع في الهند

<u>قسم مانو المجتمع الهندي إلى أربعة أقسام:</u>

1| <u>طبقة البراهما</u>. 2| <u>طبقة الكشاترين</u>. 3| <u>طبقة الفيسائيين</u>. 4| <u>طبقة السودريين</u>.

<u>1| طبقة البراهما</u> رجال الدين والحكام والجاه والنفوذ، يستأثرون بالسلطة ويقومون بتعليم الناس التعاليم الدينية

<u>2| طبقة الكشاترين</u> المحاربين أو الجنود يحافظون على النظام داخليا ويحاربون الدول الأخرى

<u>3| طبقة الفيسائيين</u> "التجار والصُناع" المهنيين اللذين يقومون بالصناعة والزراعة. لا يحق لهم أن يكونون جنود أو رجال حكم مهما وصلوا إلى درجه عالية من العلم وأبنائهم يكونون مثل إبائهم من نفس الطبقة لا يسمح لهم بالتطور.

<u>4| طبقة السودريين</u> "المنبوذين" وهم العبيد والأرقاء لا يسمح لهم بالمشاركة بالسياسة ولا بالحياة العسكرية فهم مثل آلة للإنتاج والعمل لا يحق لهم بأي حال من الأحوال الوصول لطبقه الجنود أو البرهاما. وكذلك أبنائهم يرثون طبقات آبائهم.

ماذا نفهم من هذه الطبقية ؟

هذه الطبقية طبقية مغلقة فمن المستحيل أن يكون الفيسيائي كشاتري أو الكشتاري براهمي ..

فهي طبقة مغلقة وكل يبقى على طبقته فلا مجال للتطور.

هذا النظام يحتوي على فكرتين:

الأولى: جمود الوضع الاجتماعي فلا يتغير الوضع الطبقي مطلقا من الأصول إلى الفروع.

الثانية: الخضوع لما يفرضه الدين على أفكار كل طبقة من التزامات وبالتالي هناك أسفار الفيدا يقوم بشرحها البراهما أو رجال الدين وعلى جميع الفئات الأربعة أن يخضعوا لهذه الأفكار والتعليمات والبراهما يستأثرون بالجاه والسلطة ويعتمدون على الجنود "الكشاتريين" في تطبيق هذه التعليمات..

ووظيفة الكشاتريين هي: حماية الدولة وحماية النظام وهم البراهما.

أما الفيسائيين والسودريين فلا يحق لهم مطلقاً الاشتراك في أنظمه الحكم والسياسة والدفاع ووضع التشريعات فهم معزولين عن الحياة السياسية و لو حاول السودريين الوصول للطبقة البراهما أو الكشتاريه.

ويتعرضون لشتى أنواع العذاب كصب الحديد في أذانهم وقطع اللسان وتقطيع أجزاء من الجسم..

تقسيم الطبقات على الجسم الإنساني:

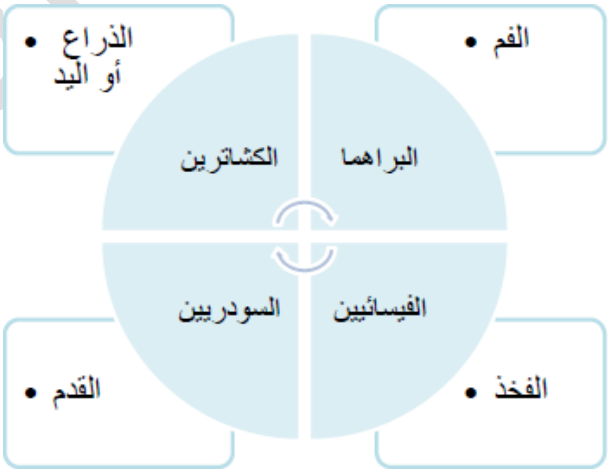

نلاحظ أن الفم أطهر وأشرف ما في الإنسان وتمثل عندهم في طبقة البراهما

والقوة والسند في الذراع وتمثل في طبقة الكشاتريين

والفخذ للشهوات وبالتالي الخدمات وبالمقابل من يقدمها لهم وتمثل في الفيسائيين

والقدم هي موطأ النجاسة وتمثل في السودريين

وبهذا التقسيم إعاقة لتطوير التفكير الاجتماعي فلا يوجد هناك إبداع أو طموح لتطور كل طبقة من نفسها كانت هذه التشريعات قاسيه على المجتمع الهندي .. وكان المجتمع الهندي قائم على هذا الأساس فترة طويلة وربما يوجد إلى الآن في بعض المناطق.

وعندما نتحدث عن الطبقات نقصد بها العرق وليس باعتبار اللون أسود أو أبيض.

hadeel alnafea

مما يؤخذ على هذا التفكير لدى الهنود أمرين:

الأمر الأول: جمود الوضع الاجتماعي بمعنى أن الفيسائين لا يكون براهماني، أو البراهماني لا يكون سودري، فالأمر ليس وراثي إلى حد ما يبنى عليه عدم تغير الوضع الطبقي من أعلى إلى أسفل أو من أسفل إلى أعلى.

الثاني: أن النظام الطبقي في الهند كان أداة إعاقة للتطور الاجتماعي ووسيلة جمود في المجال الحضاري.

وأخذت نفوذ الطبقة البراهما في الانتشار وسيطرت على المجتمع الهندي وحصلوا على مال كثير على حساب الفقراء واستقرت هذه الطبقة فترة طويلة وذلك لاعتزازهم بمركزهم الممتاز وأيضاً لأن الشعب يصدق الخرافات في أن هذه الطبقة مقدسة ولا يمكن غضبها.

وفسر البعض التقسيم الطبقي في الهند إلى أن الهند في العصر الفيدي تعرضت لغزوات وهجرات متلاحقة من الجنس الآري، ولما وجد الآريون أنهم أقلية لجأوا إلى تحريم الزواج خارج حدود جنسهم خوفاً على خصائصهم المميزة وكان هذا أساس التقسيم الطبقي في الهند.

ومع ظهور الديانة البوذية التي تنادى بالمساواة بين الناس في الطقوس والعبادات عكس البراهما وكان "ساكيامونى" مؤسس هذا المذهب الذى خفف من حدة الفواصل بين الطبقات الاجتماعية وأعلن المساواة بين الأغنياء والفقراء وبين رجال الدين ورجال الحرب والزراعة والصناعة وكما سخروا من التعاليم الدينية للبراهما.

وفى هذا الصدد وضع المؤلف البوذي "اسفاغوشا" أشعار "فادزا كوتشى" وقاما بترجمتها العالمان "ولكنس وهودجسن" وتشمل هذه الأشعار هدم النظام الطبقي بالاعتماد على الأدلة الدينية، التي تشمل أن طبيعة البراهما ليست مكتسبة لأنهم من سلالة براهمانية ولكن كل إنسان يمكن أن يحصل على هذه الصفة لأنها مظهر من مظاهر تطهير البدن من الشرور وأيضاً يرى أن العقيدة البراهمانية تحرم الناس من الحياة الدينية.

الأدلة الفلسفية: استمدها من فلسفة الطبيعة ومبادئ الحرية والمساواة أي أن الأفراد أحراراً ومتساويين ولا يمكن تقسيمهم إلى طبقات أو درجات.

ما هي الديانة التي تفرعت عن الديانة البراهمانية ؟

تفرعت عن الديانة البراهمانية الديانة البوذية، التي جاءت أكثر تطوراً حيث نادت بوجوب المساواة بين أبناء المجتمع، وخففت من حدة الفروق الطبقية.

لقد أعلنت البوذية مبادئ الإنسانية ودعت المجتمع الهندي إلى الحرية ، والإخاء ، لكنها لم تنجح في تقرير حقوق وواجبات المواطنين بشكل حاسم.

ولم تترك أثراً عملياً في المجتمع الهندي القديم.

لقد جنح التفكير الاجتماعي البوذي إلى الزهد في أمور الدنيا، فاتسم بصبغة إنسانية ينطوي على مفاهيم خلقية وعملية.

باختصار كان للتفكير الاجتماعي البوذي طابع أخلاقي سلوكي، هدفه تخليص المجتمع الهندي من براثن النظام الطبقي القائم على العقيدة البراهمية التي كانت تزعم بأن البراهماني له طبيعة مقدسة.

لقد أكدت البوذية بأن القداسة ليست صفة ولادية أو وراثية.

وفى هذا الصدد وضع المؤلف البوذي "اسفاغوشا" أشعار "فادزا كوتشى" وقاما بترجمتها العالمان "ولكنس وهودجسن" وتشمل هذه الأشعار هدم النظام الطبقي بالاعتماد على الأدلة الدينية ، التي تشمل أن طبيعة البراهمة ليست مكتسبة لأنهم

nadeel ahmed

من سلالة إبراهمية ولكن كل إنسان يمكن أن يحصل على هذه الصفة لأنها مظهر من مظاهر تطهير البدن من الشرور وأيضاً يرى أن العقيدة البراهمية تحرم الناس من الحياة الدينية.

ما هو هدف الديانات والفلسفات الهندية القديمة ؟

لم يكن هدف الديانات والفلسفات الهندية القديمة تكوين الإنسان الصالح، إنما الحصول على الرهبان، أو زهاد، أو متعبدين، وبهذا صرفوا النظر عن البحث عن حقوقهم والقيام بواجباتهم الاجتماعية والسياسية.

وعليه لم يتوصلوا إلى المقومات الأساسية للنظم الاجتماعية والحكم السياسي الأمثل، وترتب على ذلك استمرار التحكم والتسلط لتدعيم أركان العبودية والفقر والجهل لعامة الشعب لزمن طويل.

فلم يبلغوا الرقي الفكري والاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي بلغته المدنية المصرية القديمة.

وفى النهاية يتضح لنا أن الهند لم تهتم بالحياة الدنيا بل ركزت على العالم الآخر واعتبرت الحياة شراً من الشرور وأن العالم الآخر هو الخير الأعظم ولذا لم تهتم الهند بالتربية الاجتماعية والمواطنة الصالحة ولكن اهتمت بخلق قديسين ومتعبدين وأبعدت الناس عن التفكير في الدولة وعن التفكير في الحقوق والواجبات الاجتماعية والسياسية وكانوا يسعون إلى تحقق المدينة المقدسة ولذا جهلوا المقومات الأساسية للنظم الاجتماعية والسياسية فاستمروا منشغلين بالعبودية والجهل والمرض أجيالاً طويلة.

خلاصة ما سبق يتضح لنا أن شعوب الشرق كانت أفكارهم مفككة وغير منظمة وهى أقرب إلى الفلسفة والدين وكانت تنقص المفكرين النزعة التحليلية ولذا اليونان تتفوق على الشرق في أن مفكريها نظموا معلوماتهم ووصلوا إلى فكرة القانون العلمي والبرهان المنطقي وهم أول من عالجوا الدراسات الاجتماعية ووصلوا إلى الحقائق الاجتماعية بشكل منظم وعلمي.

hadeel alnafea

المحاضرة الثالثة بعنوان

التفكير الاجتماعي عند العرب:

الفارابي- إخوان الصفا-الأنثروبولوجيون العرب

عناصر المحاضرة:

المقدمة:-

- الفارابي.

- رسائل إخوان الصفا.

- الأنثروبوليجيون والجغرافيون العرب.

- خاتمة.

أهداف المحاضرة:

التعرف على ارهاصات الفكر العربي في الميدان الاجتماعي.

المقدمة:

اهتم العرب قبل الإسلام بالتفكير في شئون الحياة والمجتمع وكانت لهم نظمهم الاجتماعية، وكانوا يجتمعون في ندوات علمية ويعرضون مشكلاتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وانتشرت بينهم نظم اجتماعية لها وظيفتها، فقد عرفوا الحج ومارسوا نظم الأضحية والقرابين، وعرفوا النذور، والقوى القدسية، وكذلك الكهانة وفن العرافة والقيافة وغير ذلك الكثير.

وانتشرت بينهم ظاهرة الأخذ بالثأر وارتبطت في مشاعرهم بخرافات تدفعهم إلى ضرورة الثأر للشخص أو القبيلة.

وعرفوا مختلف النظم الزواجية وتعدد الزواج والزوجات ووحدانية الزوجة مع تعدد الأزواج، ووحدانية الزوج والزوجة، كما عرفوا نظام الطلاق.

وكانت لهم معرفة بأوقات مطالع النجوم، ومارس عرب الجاهلية فن الطب وكانوا يصنعون الأدوية والعقاقير من الأعشاب.

وكان العرب يقدسون العصبية والشجاعة ويميلون إلى القتال ويعتبرون الحرب الحل الحاسم بصدد المشكلات التي تواجههم.

وعرف العرب الترجمة والتراجم (نقل الكلام من لغة لأخرى) وهذا يدل على أنهم لم يكونوا في عزلة تامة عن الحركات الفكرية في البلاد المجاورة لهم.

hadeel almafea

ولما انتشر الإسلام حقق في فترة وجيزة الوحدة القومية في بلاد العرب، والاسلام دين اجتماعي والنظام الاجتماعي في الاسلام جزء من الدين، فقد اهتم هذا الدين بالمعاملات، كما اهتم بالعقائد والعبادات (الدين المعاملة).

واهتم الإسلام بوضع تشريعات دقيقة ومنظمة لكثير من النظم الاجتماعية مثل (الزواج - الطلاق- المواريث - طبقات المحارم - الزكاة - الرق الأضاحي- والقرابين - الحج - الصوم - الضوابط الاجتماعية - نظام الحكم - الشورى - العدالة الاجتماعية - المساواة - الحرية - التكافل الاجتماعي وحقوق الإنسان) وما إلى ذلك من النظم الاجتماعية، كما حث الاسلام على التفكير والاجتهاد وطلب العلم.

أولاً: الفارابي

هو من فلاسفة القرنين التاسع والعاشر الميلادي وهو فيلسوف المسلمين وأحد الحكماء المشهورين في التاريخ المتوسط ، وفى هذا الصدد يقول المؤرخون (الحكماء أربعة اثنان قبل الاسلام وهما أفلاطون وأرسطو واثنان في الاسلام وهما أبو النصر الفارابي وأبو على ابن سينا).

وكما لقب أفلاطون بالحكيم الإلهي وأرسطو بالمعلم الأول ، فكذلك لقب الفارابي بالمعلم الثاني وابن سينا بالشيخ الرئيس، وهذه الأقوال تدلنا على مبلغ التقدير الذى يتمتع به الفارابي وعلى عظيم مكانته في العالم الاسلامي.

ثانياً: مؤلفات الفارابي

أن الفارابي عالج شؤون السياسة والاجتماع كما عالج أجزاء الفلسفة الأخرى، ووصل إلينا مما كتبه في هذا الصدد مؤلفان قيمان:

أحدهما "كتاب السياسات المدنية " والاخر "آراء أهل المدينة الفاضلة".

والكتاب الأخير هو أشهر مؤلفاته في هذه الناحية وأصدقها تعبيراً عن مذهبه الفلسفي وما يذهب إليه في شؤون السياسة والاجتماع، وغاية الفارابي واضحة في الكتاب المشار إليه وهي تكوين مجتمع فاضل أو جمهورية مثالية على غرار جمهورية افلاطون ومنهجه واضح أو طريقته في البحث واضحة وهي أن يقيم مدينته وفقاً للمبادئ الرئيسية التي تقوم عليها فلسفته.

ولهذا السبب قسم الفارابي كتابه إلى قسمين واضحين:

عرض في القسم الأول الدعائم الفلسفية التي يريد أن يقيم عليها مدينته المثالية وعرض فيه الكلام عن الذات الإلهية وصفاتها وكيفية صدور الموجودات عنها وأجزاء النفس الإنسانية بوظائفها ومسائل تتعلق بالإرادة والاختيار، وقد تأثر في هذا القسم بنظريات أفلاطون وأرسطو والأفلاطونية الحديثة ومبادئ الدين الاسلامي.

أما القسم الثاني الذى يعنينا في الدراسات الاجتماعية فجاء عبارة عن تصميم أو تخطيط للقواعد التي يريد أن يرسي عليها مدينته الفاضلة فقد شرح فيه المبادئ التي ينبغي أن تقوم عليها المدينة بالذات.

وأهم المسائل التي عالجها الفارابي:

- تحليل الضرورة الاجتماعية. – وتقسيم المجتمعات. – ودعائم المدينة الفاضلة وصفات رئيسها.

وقد بدأ الفارابي بحوثه الاجتماعية بتحليل حقيقة الاجتماع الإنساني والدوافع الضرورية إلى قيامه.

ولا شك أنه رجع في هذا الصدد إلى أرسطو ينشد حكمته وينقل عنه قضيته المتواترة وهي: "الإنسان مدنى بطبعه" وهو بفطرته محتاج من الناحيتين المادية والمعنوية إلى أشياء كثيرة ليس في وسعه أن يستقل بأدائها ولا يقوى على تحقيقها

منفرداً، فلابد له من التعاون ببنى جنسه حتى تتحقق الغاية من الاجتماع الإنساني وهى تحقيق كمال الإنسان بما هو إنسان.

والكمال الذى يقصده الفارابي هو السعادة وهي فكرة منقولة كذلك عن أرسطو ولا يتم للفرد تحقيق السعادة في نفسه عن طريق التعاون المادي فحسب بل لابد له أيضاً من التعاون الروحي أو الفكري لأن السعادة إنما تتصل بأفضل القوى الإنسانية وأكملها وهى قوته العاقلة.

وبعد تحليل الضرورة الاجتماعية ينتقل إلى تقسيم المجتمعات. **وهي في نظره نوعان**:

- مجتمعات كاملة. - ومجتمعات ناقصة أي غير كاملة،

والمجتمعات الكاملة هي التي يتحقق فيها التعاون الاجتماعي بأكمل صوره وأرقى مظاهره والمجتمعات الناقصة هي التي لا تستطيع أن تكفى نفسها بنفسها ولا تحقق لأفرادها السعادة المنشودة.

والمجتمعات الكاملة في نظره ثلاث مراتب (عظمى-وسطى-صغرى)

فالعظمى اجتماعات الجماعة كلها في المعمورة، والوسطى اجتماع أمة في جزء من المعمورة، والصغرى اجتماع أهل مدينة في جزء من مسكن أمة.

أي أن أكمل المجتمعات هو اجتماع العالم كله في دولة واحدة وتحت سيطرة حكومة واحدة مستقلة، وأقل منه كمالاً اجتماع أمة في جزء من المعمورة تستقل بشئونها الداخلية وتستطيع أن تحقق لأفرادها ما ينشدونه من تعاون مادي وروحي.

وأقلها جميعا في الكمال اجتماع أهل مدينة في جزء من الأمة تحت سلطة رئيس، كما هي الحال بصدد المدن اليونانية التي كانت تمثل وحدات سياسية واجتماعية مستقلة.

والمجتمعات الناقصة ثلاث مراتب أيضاً وهي:

- اجتماع أهل القرية

- واجتماع أهل المحلة

- ثم اجتماع في سكة

ثم اجتماع في منزل وأصغرها المنزلة ، والمحلة والقرية هما جميعاً لأهل المدينة إلا أن القرية للمدينة على أنها خادمة للمدينة والمحلة للمدينة على أنها جزؤها.

أي أن أكثر المجتمعات الناقصة رقيا وأقربها إلى الكمال وأقلها نقصاً اجتماع أهل القرية وأهل المحلة (وهى جزء من المدينة وحى من أحيائها) وأكثر من ذلك نقصا وأقل كمالاً اجتماع أهل السكة، مثل اجتماع الشوارع والأسواق.

وأقل الاجتماعات جميعاً وأكثرها نقصاً هو اجتماع أفراد أسرة في منزل والقرية والمحلة في منزلة واحدة من حيث الدرجة، غير أن القرية في نظرة خادمة للمدينة لأنها تمدها بكافة الحاجات الضرورية، وقد أخذ الفارابي هذه الفكرة عن أرسطو فقد اعتبر القرية مستعمرة طبيعية للمدينة، أما المحلة أو الحي بالنسبة للمدينة كنسبة الجزء إلى الكل.

هذا وقد اقتصر الفارابي في دراساته على المجتمعات الكاملة، غير أنه أهمل النوعين الأولين من هذه المجتمعات وهما اجتماع العالم كله واجتماع الأمة ولم يدرس من بينها إلا اجتماع المدينة

hadeel almatea

ويبدو أنه لمس أن اجتماع العالم على الصورة التي يريدها متعذر التحقيق فوجه مزيد عنايته إلى دراسة المدينة لأنها أبسط أشكال المجتمعات الكاملة وأولى خلاياها، فإذا أمكن قيامها على الدعائم المثالية التي يذهب إليها استقامت أمور الإنسانية وصلحت شئونها

ونحن لا نأخذ على الفارابي إهماله الكلام عن المجتمع العالمي لأن مثل هذا المجتمع لا يمكن تحقيقه ولا يتفق في دعائمه وغاياته مع شئون السياسة والاقتصاد والاجتماع.

ويبدو أن الفارابي كان متأثراً فيما ذهب إليه بصدد هذا النوع من الاجتماع بنظرية الرواقيين في "الجامعة الإنسانية أو الجمهورية العالمية" وهى جمهورية تضم جميع شعوب العالم وتحكمها هيئة واحدة، ويكون الفرد في هذه الجمهورية الإنسانية مواطنا عالميا وطنه العالم أجمع وليس مواطنا في دولة معينة أو مدينة محدودة.

أي الرواقيين سبقوا الفارابي في المناداة بفكرة المجتمع العالمي الذى تلغى فيه كل الحدود والأوضاع المتعلقة بالجنس والبيئة واللغة (كما سبقهم إلى ذلك أيضا الفيلسوف الصيني الكبير كونفوشيوس).

غير أن الفارابي وهو فيلسوف الاسلام زاد على الفكرة الرواقية بأن هذه الجمهورية الإنسانية لابد أن تكون خاضعة لحكومة يرأسها الخليفة ولابد أن تدين بالدين الإسلامي، أي أنه من الضروري قيام الوحدة الدينية في هذا المجتمع المثالي لأن هذه الوحدة من شأنها أن تعزز الوحدة الروحية والسياسية.

والذي نأخذه على الفارابي أنه أهمل الكلام عن المجتمع الثاني من بين المجتمعات الكاملة وهو الأمة أو الدولة بوصفها أرقى المركبات السياسية وأتمها في ذاتها وأوضحها قصداً وأقدرها تحقيقاً للغايات المنشودة من الاجتماع الإنساني، ولا يمكننا أن نلتمس له عذراً في ذلك فقد عرف هذا النوع من المجتمعات وعاصره وعاش فيه.

حقاً أن فلاسفة اليونان لم يدرسوا إلا "مجتمع المدينة" لأنه النظام السائد في بلادهم فعرفوه ورأوا فيه النظام السياسي الأمثل، ولكن شتان بين العصر الذى عاش فيه فلاسفة اليونان وبين عصر الفارابي، فقد عاش هذا الأخير حتى النصف الأول من القرن العاشر الميلادي، ومن الطبيعي أن يكون قد عرف النظم الامبراطورية ونظام الممالك المستقلة سياسياً ونظام المدينة ونظام الاقطاع، وما عداها من النظم السياسية التي مرت بها المجتمعات الإنسانية حتى عهده.

يقتصر إذن الفارابي في بحوثه على المدينة، والمدينة الفاضلة في نظره هي التي يتعاون أفرادها على الأمور التي تنال بها السعادة واختص كل واحد من أفرادها بالعمل الذى يحسنه والوظيفة المهيأ لها بطبعه وحسب استعداداته.

وأهم وظائف المدينة وأكبرها خطراً في نظر الفارابي هي وظيفة الرئاسة وذلك لأن الرئيس هو منبع السلطة العليا وهو المثل الأعلى الذى تتحقق في شخصه جميع معاني الكمال، وهو مصدر حياة مدينته ودعامة نظامها، ومنزلته من سائر الأفراد كمنزلة القلب من سائر أعضاء الجسم، ولذلك لا يصلح للرئاسة إلا من زود بصفات فطرية ومكتسبة يتمثل فيها أقصى ما يمكن أن يصل إليه الكمال في الجسم والعقل والعلم والخلق والدين.

وفى هذا الصدد يقول: "ورئيس المدينة الفاضلة ليس يمكن أن يكون أي إنسان اتفق، لأن الرئاسة إنما تكون بشيئين أحدهما أن يكون بالفطرة والطبع معداً لها، والثاني بالهيئة والملكة الإرادية" ولا يمكن أن تصير هذه الحال إلا لمن اجتمعت فيه بالطبع اثنتا عشرة خصلة قد فطر عليها.

أن كلام الفارابي واضح وهو يشترط فيمن يصلح لتولى رئاسة المدينة الفاضلة اثنتا عشرة فضيلة بصفة طبيعية وست فضائل عن طريق الاكتساب.

والفضائل الطبيعية هي على الترتيب:-

1- أن يكون الرئيس تام الأعضاء سليم الحواس. 2- أن يكون بالطبع جيد الفهم والتصور لكل ما يقال أمامه.

3- أن يكون جيد الحفظ لما يفهمه ولما برآه ولما يسمعه ولما يدركه. 4- أن يكون ذكيا. 5- أن يكون حسن العبارة.

6- أن يكون الرئيس محباً للعلم. 7- أن يكون بطبيعته غير شره، يبغض اللذات الدنيوية.

8- أن يكون محباً للصدق وأهله. 9- أن يكون كبير النفس محباً للكرامة.

10- أن تكون أعراض الدنيا عنده هينة، لا قيمة للأموال في نظره ولا يسعى إليها.

11- أن يكون بالطبع محبا للعدل وأهله. 12- أن يكون قوى العزيمة.

وبجانب هذه الصفات الفطرية لابد أن يكون الرئيس مزودا بست صفات مكتسبة يحصل عليها في أثناء حياته وهي على الترتيب:-

- أن يكون حكيما أي فيلسوفا. - أن يكون عالما حافظا للشرائع والسنن.

- أن يكون له جودة استنباط قيما لا يحفظه عن السلف (وهذا ما يسميه علماء الأصول بالقياس، والرئيس في هذا ليس مبتكراً، بل يقيس ما لم يرد فيه نص عن سلفه بما يشبهه من الأمور التي ورد فيها نص عنهم).

- أن تكون له جودة رؤية وابتكار تسمح له بتشريع مبتكر في الأمور التي لم يحدث لها نظير في عهد سلفه.

- لا يكفى أن يكون الرئيس ملماً بالشرائع السابقة على ما ذكره فيما سبق بل يجب أن يكون قادراً على تعليمها للناس وإرشادهم إليها.

- يشترط في الرئيس أن يكون القائد الأعلى للجيوش فلابد أن تساعده قوته البدنية على أداء هذه الوظيفة.

وإذا لم يوجد إنسان استكمل لهذه الشرائط المكتسبة كلها، وحدث أن اجتمعت في اثنين كأن يكون أحدهما حكيماً فقط، وتجتمع في الشخص الثاني الشرائط الباقية كانا هما رئيسين في المدينة.

وهذا على فرض أن تتوافر فيهما الشروط الطبيعية الفطرية.

وإذا توافرت الصفات الطبيعية في جماعة، ولم تتوافر المكتسبة كلها في واحد بل تفرقت فيهم، كأن يكون أحدهما حكيمان والثاني يمتاز بقدرة الثبات، والثالث بالقدرة على الاستنباط، وكانوا جميعاً متلائمين، كانوا الرؤساء الأفاضل، فلا بأس من أن يتولوا السلطة جماعة.

الشرط الروحي.

وغاية الفارابي هنا واضحة فهو يريد أن يكون رئيس المدينة الفاضلة فيلسوفاً كامل التعقل، والحق أن الفارابي ينفرد بذكر هذا الشرط الروحي، فأفلاطون في جمهوريته اقتصر على أن يكون رئيس المدينة فيلسوفاً استولت عليه الفلسفة كما ينبغي، ولم يشترط أن يكون ملاكاً روحيا أو نبيا دينياً جمع بين الفلسفة والإشراق الصوفي وهذا يدلنا على مبلغ تأثر الفارابي بالاتجاهات الصوفية في الديانة الاسلامية.

وإذا أضفنا إلى ذلك أن الفارابي يذهب إلى أن أفراد المدينة لا تتحقق سعادتهم، ولا تصبح مدينتهم فاضلة إذا ساروا على عكس رئيسهم وأصبحوا صورة منه، وأن الرئيس لا يعد مؤديا لرسالته إلا إذا وصل بهم إلى هذا المستوى الرفيع.

ويتضح لنا أن المدينة الفاضلة التي صممها الفارابي في كتابه هي مدينة من القديسين الأبرار وليست من المواطنين الأحرار، وهى برئاسة نبي أو ملك كريم وليست تحت حكم سلطة سياسية من طبيعة اجتماعية، وغنى عن البيان أو التعريف أن مدينته هذه شأنها لا سبيل إلى تحقيقها في واقع الأمر.

فإذا حدث عدم توافر هذا الشرط الروحي في إنسان مع توافر سائر الشروط الطبيعية والمكتسبة بقيت المدينة بدون رئيس، ولا يعتبر الرئيس القائم فعلاً بأمر المدينة ملكا.

ومثل هذه المدينة مآلها إلى السقوط وتظل في تعثر واضطراب إلى أن يقيض الله لها من ذويها من يجمع بين الحكمة وبين الشروط التي سبق ذكرها، فالحكمة في نظر الفارابي هي أهم ما يستقيم به أمر المدينة الفاضلة وأهم ما يجب توافره في رئيسها.

المدن غير الفاضلة

ويعطينا الفارابي مظاهر عديدة من المدن غير الفاضلة أهمها:-

المدينة الجاهلة أو الجاهلية: وهى التي لا يعرف أهلها السعادة بل ظنوا أن الخير إنما هو الملذات البدنية وأن الشقاء هو آفات البدن.

المدينة الضرورية: التي يقصد أهلها إلى التكالب على الحاجات البدنية الضرورية من المأكل والملبس والمسكن.

المدينة البدالة أو التجارية: التي ينزع أهلها إلى جمع الثروة واكتنازها فذلك غايتهم بدون الانتفاع بها.

مدينة الخسة: التي يزاول أهلها اللهو والعبث ومقصدهم التمتع بكل ما يتعلق بلذات البدن.

مدينة الكرامة: التي يقصد أهلها إلى أن يكونوا مشهورين ذكوريين و ممدوحين وجهاء.

المدن غير الفاضلة

المدينة المتبذئة: وهي مدينة كانت فاضلة ثم دعمتها تيارات شاذة وأصابها انحراف، فتغير أهلها إلى غير أفاضل واستحالت أفعالها ونظمها إلى غير ذلك.

المدينة الضالة: وهى التي يضل أهلها عن الدين ويذهبون بصدد تفسير العقائد والطقوس تفسيراً فاسداً غير مستقيم.

المدينة الفاسقة: وهى التي يعرف أهلها آراء واتجاهات المدينة الفاضلة ولكنهم يتنكرون لها ويسلكون مسلك أهل المدن الجاهلة.

مدينة الإباحية أو الجماعية: ويسير أهلها على فطرتهم ويفعلون ما يشاءون بدون أية ضوابط اجتماعية وأخلاقية.

مدينة التغلب: التي يقصد أهلها إلى النضال وحب الحرب.

وأهم وجوه النقد الذى تعرض له الفارابى ما يأتى:-

درس شؤون الاجتماع مختلطة بالدين والأخلاق وتأثر في هذا الصدد بنظريات صوفية وخطوات روحية مما أفقد نظرياته الصفة العلمية.

كانت دراساته متجهة إلى البحث فيما ينبغي أن تكون عليه شئون الاجتماع ولم يبحث في طبيعة النظم وفيما هو كائن، أي أن دراساته من طبيعة فنية عملية وليست من طبيعة علمية نظرية، وبهذه الصفة لا يعتبر الفارابي عالم اجتماع بالرغم من أن الدراسات الإنسانية والاجتماعية استأثرت بنصيب كبير من فلسفته.

ان من أنصار الاتجاه الذى يرمى إلى تشبيه المجتمع بالكائن الحي وهو اتجاه خاطئ ولا يستقيم مع الاتجاه الوضعي في درسه حقائق الاجتماع.

نقل معظم أجزاء فلسفته من فيلسوفي اليونان (أفلاطون وأرسطو) هذا إلى أنه شوه بعض ما ذهبا إليه لأنه كان ينزع إلى التوفيق والمزج بين آراء الفيلسوفين ولذلك لم يكن الفارابي أصيلاً فيما ذهب إليه ولم يكن موفقا كذلك فيما نقله عنهما.

تعبر آراؤه عن شخصية صاحبها وفلسفته الخاصة أكثر من تعبيرها عن حقائق الأمور، فهي آراء فلسفية لا تستمد دعائمها من طبائع الأشياء ولا تنهض حقائق التاريخ دليلاً على صحتها ويبدو أن الفيلسوف المسلم كان مسيرا بأفكار سابقة وآراء شخصية هي التي دفعت به إلى رسم التصميم الذى أشرنا إليه.

خاتمة

وفى ضوء هذه الاعتبارات يمكننا القول بأن بحوث الفارابي لم تقدم لعلم الاجتماع شيئاً جديراً بالذكر، ولا تعتبر في ذاتها من علم الاجتماع ولكنها من قبيل "اليوتوبيا الاجتماعية" أو من الدراسات الفلسفية الاجتماعية الممهدة لظهور العلم.

رسائل إخوان الصفا

نشأ إخوان الصفا في البصرة في مطلع القرن الرابع الهجري وكانوا يشكلون جماعة سرية من أهل الفكر المتحررين غايتهم إصلاح المجتمع والتوفيق بين المذاهب الفكرية المختلفة.

ترك إخوان الصفا (51) رسالة، ثم أضافوا رسالة جامعة (أو فهرس) وقسموه أربعة أقسام:

- الرسائل الرياضية التعليمية - الرسائل الجسمانية الطبيعية

- الرسائل النفسانية العقلية - الرسائل الإلهية والشرعية الدينية

ولهذه المجموعة من المدونات قيمة فكرية لأنها تصور لنا الحياة العقلية في القرن الرابع الهجري، كما أنها تضم فقرات وشذرات تتناول بعض الحقائق الاجتماعية.

فالمجتمع عند إخوان الصفا طبقات مختلفة بعضها فوق بعض. فقد ورث الناس هذه الطبقية منذ الولادة، بعضهم من أبناء الملوك وبعضهم من أبناء التجار وبعضهم من أبناء الفقراء.

وهم يروا في هذا التفاوت الطبقي حكمة ووظيفة. فالإنسان لا يستطيع أن يقوم بجميع أعمال المجتمع، فاختلاف طبقات الناس يسهل قيام كل طبقات بعمل معين، ومن ثم تتعاون الطبقات الاجتماعية على تحقيق التكامل في الوظائف الاجتماعية.

والناس في المجتمع بحاجة لحاكم يقيم الدين ويحكم بين الناس ويرعى مصالحهم، ولهذا كان هناك ضرورة لنشوء الدولة.

الدين والدولة مرتبطان، والدين أفضل من الدولة، لأن الدولة أقيمت من أجل الحفاظ على أحكام الدين.

وعلى صعيد المجتمع أشاد إخوان الصفا بفضل نظام الأسرة المتكاملة في عناصرها. فالرجل في نظرهم سيدها وحاميها، أما المرأة فهي أقل شأناً وعقلاً من الرجل. وظيفتها استمرار النسل وضمان بقاء النوع.

وفي ميدان الأخلاق الاجتماعية، أكد إخوان الصفا وجود قسمين، الأول فطري موروث، والثاني مكتسب.

وتتأثر الأخلاق الموروثة:

بالتكوين البيولوجي للإنسان ، وهنا إشارة إلى المزاج والطباع.

بالبيئة الطبيعية والجغرافية

وتتأثر الأخلاق المكتسبة بما يتعلمه الفرد من فنون وآداب وعلوم.

وتقدم رسائل إخوان الصفا طائفة من النصائح والوصايا تنطوي على أسمى القيم والفضائل الأخلاقية، متأثرين بفضيلة العدالة التي نادى بها كل من أفلاطون وأرسطو.

وتعرض الرسائل لقضايا التربية والتعليم، خاصة التربية الدينية لما لها أكبر الأثر في تهذيب النفس وتكوين الشخصية الإنسانية.

وقد أكدت رسائلهم على أهمية البيئة الأسرية والرسمية وأثرها في تربية الأطفال، من خلال ظاهرة التقليد. التي يسعى من خلالها الطفل لتقليد مظاهر سلوك وعادات البيئة التربوية التي ترعرع في أجوائها.

ولذلك حثوا على أن يكون الآباء والأساتذة قدوة حسنة للأطفال. خاصة أن لظاهرة التقليد أثرها البالغ في وراثة المهن والوظائف والنجاح بها.

الأنثروبولوجيون والجغرافيون العرب

استطاع العرب في فترة قصيرة أن يشيدوا امبراطورية عربية إسلامية مترامية الأطراف.

ودخلت في نطاقها شعوب متمايزة وأجناس مختلفة لها عاداتها وتقاليدها ولهجاتها.

وسرعان ما انصهرت كل هذه الشعوب في وحدة لغوية وثقافية وحضارية ودينية، وامتزجت وتصاهرت وتحقق في نطاق هذه الامبراطورية عاملان مهمان هما: السلام الإسلامي والتعريب.

فكان من الطبيعي أن تقوم وسط هذه الأقوام طائفة من الباحثين محبة للاستطلاع والتعرف والقيام بالأسفار والرحلات للكشف عن حواضر العلم وعواصمه في الامبراطورية.

وقد ساعد على ذلك شبكة القوافل التي ربطت وقربت كل أجزاء الدولة العربية. وكان لفريضة الحج وزيارة الأراضي المقدسة أثراً واضحاً في هذه الأسفار.

وقد أتاحت هذه الظروف الفرصة لقيام العديد من رجال الفكر والأدب والمجتمع بزيارات ورحلات دراسية لتقصي أحوال الشعوب الجغرافية والعمرانية والكشف عن عاداتها وتقاليدها وآثارها الحضارية.

وهؤلاء هم من وضعوا اللبنة الأولى في علمي الأنثروبولوجيا والجغرافيا عند العرب. قد اشتهر من بينهم:

أحمد بن فضلان، الذي أرسله الخليفة المقتدر عام 912 ميلادي إلى بلغاريا. وقد وصف هذا الرحالة بلادهم وعاداتهم وما قام به من أعمال الدعوة والتبشير بين جماعاتهم لنشر الدين الإسلامي بنظمه ومبادئه، وكذا اللغة العربية.

الجغرافي الكبير أبو الحسن علي ابن المسعودي، الذي طاف بلاداً كثيرة، وقام بدراسات جغرافية، لا تزال أصالتها واضحة، ولذلك يعتبر من أدق علماء الأنثروبولوجيا العرب. اشتهر بكتابه "مروج الذهب ومعادن الجوهر" (950م).

أبو القاسم محمد بن حوقل، الذي وضع كتاباً بعنوان "المسالك والممالك" اعتبر مرجعاً أساسياً في دراسة أحوال دولة القرامطة الاجتماعية، ونظمها السياسية والاقتصادية.

أبو عبد الله محمد ابراهيم الطنجي الشهير باسم (ابن بطوطة). والذي قام بأسفار دامت ما يقارب ثلاثين عاماً، زار فيها معظم أنحاء الوطن العربي، وبلاد الهند والسند والصين وجنوب شرق آسيا، وأفغانستان وبلاد العجم والأناضول، ودول بأفريقيا كالسودان والحبشة.

فدون خلاصة مشاهداته ودراساته وتجاربه في كتابه الشهير: "تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" (1356م).

خاتمة

هذه إشارات سريعة لبعض ما تركه الأنثروبولوجيون والجغرافيون العرب من آثار نفيسة أفادت ميدان الدراسات الاجتماعية.

فقد كان لما قدمه هؤلاء من حقائق وصفية وملاحظات ومشاهدات واقعية ووثائق أهمية تاريخية كبيرة، زودتنا بمعلومات زاخرة عن عادات الشعوب التي زاروها وأحوالهم البيئية والاجتماعية.

لقد استطاعوا تحليل هذه الحقائق والقيام بالمقارنات والموازنات بين مختلف هذه الشعوب، وهذا ما منحهم أهمية بالغة في تاريخ الدراسات الاجتماعية عند العرب.

hadeel almafea

المحاضرة الرابعة بعنوان

التفكير الاجتماعي عند فلاسفة اليونان: أفلاطون

عناصر المحاضرة

أولاً: التفكير الاجتماعي عن أفلاطون –وتتضمن:-

مقدمة: أهم أبحاثه ومؤلفاته

أولاً: دعائم المدينة الفاضلة ونظامها الطبقي

ثانياً: التربية الاجتماعية في المدينة الفاضلة

ثالثاً: المرأة ونظام الأسرة ونظام الملكية

رابعاً: حكومة الفلاسفة

خامساً: تقييم ونقد آراء أفلاطون

مقدمة: أفلاطون

فيلسوف يوناني (428-347 ق.م) وأحد الحكماء السبعة في اليونان ينحدر من أسرة أرستقراطية برع في جميع العلوم والمعارف، خاصة: في الحساب والهندسة عاش حوالي الثمانين عاماً، وكتب مؤلفات عديدة.

يعتبر بعض الباحثين أن جمهورية أفلاطون هي أول بحث منظم وضعه فلاسفة اليونان في الفلسفة الاجتماعية.

بيد أن هناك بحوثاً سابقة على هذه الجمهورية أمكن دراستها بطريقة علمية تحليلية، كما تم الكشف عما فيها من مظاهر التفكير الاجتماعي قبل أن تصل الفلسفة اليونانية إلى عصرها الذهبي: عصر أفلاطون وأرسطو.

من أهم البحوث السابقة على عصر أفلاطون وأرسطو:

ديوان الأعمال والأيام للشاعر ويعرض لفكرة العدالة (هزيود) والعمل.

الأشعار المنسوبة إلى طائفة وهي أمثال (الشعراء الحكماء) تتحدث عن العدالة الاجتماعية.

(النظم القضائية والدستورية) التي وضعها المشرعون الاجتماعيون، واستفاد منها أفلاطون.

بحوث وضعها (أرستوفان) وهي "الرواية والفرسان" ويتناول فيها نظام الملكية.

بحوث (أكسانوفان) وأهمها "الاقتصاد" ويتحدث عن حقوق الأسرة.

hadeel alnafea

مقدمة: أهم أبحاث أفلاطون ومؤلفاته

ما هي أهم مؤلفات أفلاطون؟

- السياسة. – الجمهورية. – القوانين.

بحوثه الأساسية إذن هي: الجمهورية والسياسة والقوانين، وكلها تزخر بالبحوث المتصلة بالدراسات الاجتماعية. غير أن كتاب الجمهورية يعد الأهم فهو عبارة عن بحث منظم في الفلسفة الاجتماعية، وكان الغرض من هذا الكتاب هو التخطيط الأمثل لقيام مدينة فاضلة التي تقوم على الفضيلة وتظلها العدالة وتشرف عليها حكومة الفلاسفة. وعرض في هذا الصدد ثلاثة موضوعات رئيسية هي:-

يعرض أفلاطون في هذا الصدد ثلاثة موضوعات رئيسية، والتي تشكل أهم الأسس والدعائم الضرورية لقيام هذه المدينة الفاضلة أو الدولة.

وهي:-

أولاً: دعائم المدينة الفاضلة ونظامها الطبقي:

يبدأ أفلاطون جمهوريته بالحديث عن طبيعة الاجتماع الإنساني ونشأته الأولى، حيث يناقش الدعائم الأساسية التي تقوم عليها المجتمعات المعاصرة له، فيحللها ثم يوضح وجوه الفساد فيها بهدف أن يبني على أنقاضها النظم المثلى التي ارتآها مناسبة لتحقيق السعادة في المجتمع.

يلجأ أفلاطون في تحديد مبادئه بصدد المدينة الفاضلة إلى دراساته في النفس الإنسانية، فالمدينة تشبه الفرد أي أنها عبارة عن وحدة حية مكونة من أجزاء كما يتكون جسم الإنسان من أعضاء. وكل جزء من أجزائها يؤدى وظيفة خاصة. كما تختلف أعضاء جسم الإنسان في أداء وظيفتها، وترتبط هذه الأجزاء بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً وتجتمع كلها في مركز واحد وتسعى إلى غاية مشتركة شأنها في ذلك شأن أجزاء جسم الإنسان.

ويشكل الشعور بالحياة المشتركة والتعاون الوثيق والغائية الجمعية، دليل حقيقي ويقيني على أصالة تفكير أفلاطون، وعمق تفكيره وهدفه في الكشف عن الضرورة الاجتماعية التي تجعل من المدينة أو "الدولة" أول تنظيم اجتماعي وسياسي تدعو إليه الطبيعة.

لأول وهلة تتميز هذه المدينة (المجتمع)

- بالشمول. - والتعبير عن الحياة المشتركة. - والتعبير عن التعاون الوثيق. - والتعبير عن الهدف الجماعي.

وتحتم الضرورة الاجتماعية برأي أفلاطون على جعل المدينة أو الدولة بوصفها:

أول تنظيم اجتماعي وسياسي تدعو إليه الطبيعة البشرية. ذلك أن الدولة وحدة جماعية منظمة.

haberalmafea

فالدولة وحدة جمعية دعائمها انسجام الرغبات الخاصة والإرادات الفردية وتوازن الميول والمصالح الذاتية. ويستحيل على هذه الوحدة الروحية أن تتحقق في مجتمع يسترق بعض أفراده البعض الآخر، أو تطغى مصالح فريق على الفريق الآخر.

وبهذا يريد أفلاطون أن يقرر أن "الحاجة الإنسانية" هي التي تدفع إلى الاجتماع المنظم، وعدم كفاية الحياة الفردية تدفع بالأفراد إلى التعاون المشترك والاشتراك في مجهود جمعي يكفل لنهم تحقيق كمالهم المادي والروحي.

ما هو الهدف العام المشترك؟ إنه العدالة تسعى الدولة إذن لتحقيق العدالة الاجتماعية، خاصة وأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش لوحده، ولا بد أن يعتمد دائما على الآخرين. وعليه: فالحاجة الاجتماعية الإنسانية لإشباع الحاجات المادية والروحية هي أساس تلك الوحدة الاجتماعية، وأساس النظام الاجتماعي.

النظام الطبقي للمدينة الفاضلة

ولما كانت ضرورة الحياة هي الدافع الجوهري لقيام المجتمع فيجب إذن أن يحتوى على طبقة مزودة بالرغبة في العمل

"طبقة منتجة كادحة" تكون وظيفتها تحقيق الحاجات الضرورية والرغبات الخاصة، أي أن وظيفتها القيام بشؤون العمل والانتاج من "زراعة وصناعة وتجارة"، هذه الطبقة في المجتمع تشبه "القوة الشهوانية" في النفس الإنسانية.

وبما أن ضرورة الوجود وحب البقاء لا تكفي لقيام المدينة، فلابد أن تقوم معها ضرورة الدفاع عن أفراد المجتمع وحماية مصالحه وسد هجمات المغيرين والطامعين، ولذلك أصبحت الحاجة ماسة إلى قيام طبقة اجتماعية، وهذه الطبقة هي طبقة المحاربين التي من خصائصها فضيلة الشجاعة وهذه طبقة تشبه "القوة الغضبية" أي قوة النزوع في النفس الإنسانية.

بيد أن الدولة الفاضلة لا يكفيها أن تحقق لنفسها سبل العيش ووسائل الدفاع، بل يجب أن تحكم نفسها بنفسها، وأن تكون فيها هيئة وظيفتها الإشراف على الناحية الإدارية وسن القوانين ونشر العدالة وتحقيق السعادة للمواطنين وهى طبقة الحكام والرؤساء، وخصائصها فضيلة الحكمة وهى تشبه في المجتمع "القوة الناطقة" في النفس الإنسانية.

ما هي وظائف الدولة التي تحدث عنها أفلاطون؟

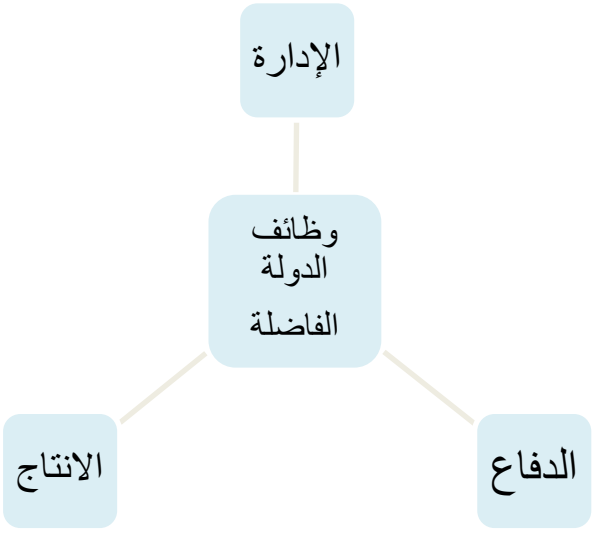

هنا يؤكد أفلاطون انقسام المجتمع إلى ثلاث طبقات متمايزة بحكم الطبيعة. ولكل طبقة وظيفة خصتها بها الطبيعة، بحيث لا ينبغي لها أن تتدخل في عمل الطبقة الأخرى، بمعنى أن لا يشارك الطبقة الممتازة في الحكم أي من الطبقات الأدنى، وخاصة المنتجة لأنها لا تملك الحكمة ولا التربية ولا التعليم.

hadeelalmafea

أن كل طبقة من الطبقات الاجتماعية الثلاث تمتاز بفضيلة خاصة، فطبقة المنتجين فضيلتها التعفف والاعتدال، وطبقة المحاربين فضيلتها الشجاعة والمخاطرة، وطبقة الحكام فضيلتها الحكمة والحزم.

تشبيه الدولة بالإنسان

وظيفة الدولة	ما يقابلها في نفس البشرية	مركزها	طبيعتها	فضيلتها	معدنها
الإنتاج (المنتجة)	القوة الشهوانية	البطن	هم العمل والطبقة الكادحة	التعفف والاعتدال	الحديد والمعادن الغير ثمينة
الدفاع (المنفذة)	القوة الغضبية أو قوة النزوع (النفسية)	القلب	هم المحاربين ورجال الأمن	الشجاعة والمخاطرة تطبيق القوانين السياسية وتحقيق العدالة	الفضة
الإدارة (المفكرة)	القوة الناطقة أو العاقلة أو الفكرية	الرأس أو العقل	الحكام وأصحاب الرأي	عملية الحكمة والحزم في اتخاذ القرارات وتنفيذها	الذهب الخالص

يقول أفلاطون: بأن الدولة الفاضلة متى جمعت بين الفضائل الثلاث، استطاعت أن تقيم بينها حالة النظام، وتتحقق "العدالة" كما تتحقق الفضيلة في النفس الإنسانية.

فالعدالة في نظر أفلاطون، ليست في حقيقة الأمر فضيلة رابعة مضافة إلى الفضائل الأخرى. بل "العدالة" هي: (قوة خلقية تنشأ في جو الدولة، كما تنشأ في مقومات النفس الإنسانية من تنسيق مختلف الفضائل وتحقيق التوازن وقيام حالة التناسب والاعتدال).

ويرى أفلاطون أن التقسيم الطبقي المشار إليه تقسيم طبيعي، فالطبيعة هي التي أقامته وحددت عناصره وعينت وظائفه وجعلت هذه الطبقات من طبائع مختلفة ومعادن متباينة، فطبقة الحكام من الذهب الخالص، وطبقة المحاربين من الفضة ، وطبقة المزارعين والعمال من الحديد "والنحاس الخام".

وليست هذه الطبقات منفصلة اجتماعياً ولكنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً ويتبع بعضها البعض الآخر ويعتمد عليه في قوامه وكماله.

وهى في مجموعها تكون وحدة حية دعامتها الفرد الذى تفرض عليه الحياة الاجتماعية أن يقوم بالوظيفة التي يحددها له جهاز الدولة.

الدولة الفاضلة كما يصورها أفلاطون هي جماعة من أفراد أحرار متساويين يرتبطون فيما بينهم بأواصر الأخوة، ويقصد كل منهم إلى تحقيق وظيفته الاجتماعية في ظل طائفة من القوانين العادلة التي تضعها طبقة الحكام، وهي طبقة مطبوعة على حب العلم والفلسفة. فلا يصدر عنها إلا ما هو عادل وفاضل.

وأن المدينة الفاضلة لا ينشغل أهلها بطلب الجاه أو الشهوة ولا يسرفون في طلب المال ولا يتخذون من الحرب غرضاً ذاتياً يسعون إليه، ولكنهم يعيشون في أسرة واحدة دعامتها العدالة وتحقيق السعادة.

nadeel alnafea

ثانياً: التربية الاجتماعية في المدينة الفاضلة

كانت المجتمعات في عهد أفلاطون مضطربة في نظمها الإدارية والسياسية، وبعيدة عن الاستقرار الاجتماعي، وذلك بسبب القصور في عدم تكوين العناصر الضرورية لقيام المدينة والوحدة الاجتماعية.

ولأنه كان يعد طبقة الحكام والجنود من اهم طبقات المجتمع، حيث يتوقف عليهما سعادة المجتمع، فقد جمعهما في طبقة واحدة هي الحراس، متسائلاً بذلك عن الوسيلة الناجعة لبناء هذه الطبقة.

يقول أفلاطون: "أننا إذا أردنا أن نقيم المدينة المثالية على قواعد فيجب أن نرجع إلى مملكة الأطفال البريئة، فهي كالعجين أو كقرص الشمع الذى يستطيع أستاذ الجيل أن يشكله حسب ما يريد، وهي بما فيها من أصل صالح ونواة طيبة لما سيكون عليه مستقبل الدولة، وعن طريق التربية نستطيع أن نجعل من الأطفال مواطنين وعناصر لدولة مثالية".

ولمعالجة تلك المشكلة، نادى بأهمية التربية الاجتماعية السليمة للأطفال للكشف عن ملكات الموهوبين وتحويل قدراتهم الفطرية إلى استعدادات مهنية تتفق مع متطلبات الدولة.

ويتلخص نظام التربية الاجتماعية في الخطوات الآتية:-

نبدأ أولاً بأن نميز بين الأطفال (بنين وبنات) أصحاب القوة البدنية أي أصحاب الاستعداد للمقاتلة، ونهتم بالتربية البدنية والرياضية لنحافظ على قوتهم الطبيعية ونعطى لهم قسطاً من الآداب والفنون.

ويجب ألا نقتصر في هذا السن المبكر على تثقيفهم بقدر من المعلومات والمعارف بل يجب أن نغرس فيهم حب الفضائل وننمي فيهم أصول الدين التي تقوم على الإيمان بوجود الله. ويخضع الأطفال في هذا النوع من التربية حتى الثامنة عشر عاماً.

ثم ينقطعون عن متابعة الدرس ويمارسون التمرينات العسكرية لمدة عامين كاملين.

ثم يفصل الممتازين منهم على حدة ليعودوا ثانية إلى مواصلة الدراسة والبحث في أربع مواد أساسية وهي: الحساب والهندسة والفلك والموسيقى حتى تنمى فيهم حب الحكمة والفلسفة.

عندما يبلغ الحراس سن ال 30 نميز من بينهم أصحاب الاستعداد الفلسفي (رجال، نساء) لمتابعة دراسة الفلسفة، وليجيدوا البحث عن حقائق الأشياء. ويستمرون في هذه الدراسة خمس سنوات.

ثم تولى الوظائف الحربية والإدارية حتى سن ال 50 سنة ثم يرقون إلى مرتبة الحكام أما الذين تخلفوا عن مراحل الدراسة يكونوا طبقة الجند.

ومجمل القول هو أن أفلاطون يرى أنه من الضروري إشراف الدولة على شؤون التربية والتعليم حسب الخطوات التالية:

أ- تأخذ الدولة الأطفال بعد الولادة مباشرة.

ب- تعهد بهم إلى مربيات عامة، موظفات للقيام بأمور الحضانة.

ت- بعد بلوغهم السابعة من العمر يتم الفصل (بعد اختبار قدراتهم) بين من يصلح لإكمال تعليمه وبين من يصلح للأعمال الجسدية (صناعة-مهنة-زراعة-أي حرفة).

hadeel alnafea

التمييز بين الأحداث الذكور والإناث، واختيار المتميزين بالتكامل الجسمي والقوة البدنية، والاستعداد للقتال، لزيادة قواهم الطبيعية والمحافظة عليها.

وتزويدهم بالفنون والآداب وغرس حب الفضائل وقواعد الدين.

عند بلوغهم سن (18) يوجهون نحو مزاولة التدريب العسكري طوال عامين كاملين.

ويستأنف المتميزين منهم الدراسة والبحث لمدة (10) سنوات في أربع مجالات رئيسة: الرياضة-الهندسة-الفلك-الموسيقى، لتزويدهم بخلفية علمية تدفعه نحو حب الفلسفة والحكمة.

يتم اختيار أصحاب الاستعداد الفلسفي منهم لدراسة الفلسفة والمنطق وإجادة البحث عن حقائق الأشياء لفترة (5) سنوات.

وبهذا يبلغون العمر (35) سنة، فتسند للممتازين منهم الوظائف الحربية والإدارية إلى أن يصلوا إلى (50).

يتم حينها اختيار المميزين في الأعمال الإدارية والحربية لترقيتهم إلى مرتبة الحكام وإسناد الوظائف الرئيسة لهم ليصلوا بمقاليد الحكم إلى مرتبة الحكمة والفلسفة الخالصة.

ونظراً لأن الحراس في المرحلة التربوية ليس لديهم الوقت الكافي للسعي وراء تكاليف الحياة، فيجب على الدولة أن توفر لهم أسباب المعيشة مثل توفير الطعام والشراب والمأوى.

وهذا ما دعاه إلى تحريم نظام التملك على هذه الطبقة، فلا يحق لأحد منهم أن يمتلك أي من مظاهر الثروات.

ثالثاً: المرأة ونظام الأسرة والملكية

ورأى أفلاطون أيضاً أنه ضماناً لنجاح نظام الحكم والحراسة يجب أن ننزع من نفوسهم عواطف الأسرة وشواغلها.

وبهذا المعنى يكون الزواج في هذه الفئة مؤقتاً، وفي فترات محددة أثناء المناسبات الرسمية والحفلات الدينية والأعياد.

حيث يقيموا علاقات مع بعضهم البعض تنتهي بانتهاء المناسبة. أي أن الحراس يعقدوا زواجاً لغرض الإنجاب فقط، حسب حاجة الدولة.

إن الوسيلة للابتعاد عن الترف والثروة، وعدم تورط الحكام في الفساد يكمن في شيوع الملكية. بمعنى أن لا يتمتع الحاكم بملكية خاصة أيا كانت سواء مسكن أو مخزن أو أي شيء.

يجب على الحكام والحراس العيش في ثكنات الجنود، يتناولون الطعام معهم بموائد مشتركة.

باختصار ألغى أفلاطون كل أنواع الملكية الخاصة: البيت والأسرة وحتى الزوجة أو الولد.

عن مضار الملكية الفردية يقول أفلاطون:

علينا أن نلغي التمييز بين "لي" و "لك" ويجب أن تزول من الوجود صيغة المتكلم المفرد-أنا، ويجب أن تزول من الوجود البيت الخاص والأسرة الخاصة، لأن في الأسرة تكمن كل روابط "الفردية" وأركانها. ويجب أن تصبح الأموال والنساء مشاعاً، فلا يعرف إنسان فروعه من أولاد وأحفاد، ولا يعرف أيضاً من أبوه أو أمه، بل إن "جيلاً من الناس يلد جيلاً آخراً".

hadeel alnafea

ولعل الهدف من شيوعية النساء والأطفال هو إزالة أسباب الخلاف بين أفراد المجتمع، والعيش المشترك بدون ملكية خاصة. باستثناء طبقة المزارعين والصناع فقد أتاح لهم بشيء من الملكية لقاء دفع الضرائب للدولة مع إبقاء حق الدولة في استعادة الملكية بعد وفاتهم، أي ألغى أفلاطون توارث الملكية.

ويوضع الأطفال في مكان واحد كوديعة مقدسة لدى مربيين معينين من قبل الدولة وفق مرسوم خاص.

وبهذا المعنى لا يتطلب الأمر أن يعرف الواحد منهم أماً أو أباً، فهم أبناء الجميع ونسل الجميع ولا توجد بينهم قرابة معروفة، بل تجمعهم أسرة الجندية. لكن نظام الأسرة مباحاً لطبقة الشعب مع مراقبة الدولة على تحديد النسل لمنع تضخم عدد السكان.

ومجمل القول في هذا النظام التربوي أن الدولة تستولي على الممتازين من أبناء الشعب وتخضعهم لنظام تربوي محدد لا فرق فيه بين الذكور والإناث. هناك مساواة إذن بين الجنسين في الحقوق والواجبات وتقلد الوظائف العامة.

ولهذا السبب ألغى أفلاطون في مدينته الفاضلة نظام الملكية، ونادى بشيوعية المال والنساء والأولاد في طبقة الحراس فقط.

لقد جرد أفلاطون الناس جميعاً من عواطف القرابة والأسرة: من الأبوة والأمومة.

وأباح شيوع النساء والجنس وتنظيم ذلك في مواعيد الأعياد والمناسبات القومية. فألغى نظام الزواج والأسرة في المجتمع، ونادى بمساواة النساء بالرجال في طبقة الحراس والحكام.

كما حدد سناً معينة للإنجاب سواء للرجل أو المرأة حتى لا ينشأ الأطفال ضعفاء للمحافظة على السلالة النقية.

رابعاً: حكومة الفلاسفة

أن أفلاطون يريد أن يكون الحكام في مدينته المثالية فلاسفة وحكماء لأنهم يحاولون تطبيق العدل والجمال والخير ومن الأفضل أن تتولى طبقة الفلاسفة الحكم بشكل جماعي ولا ينفرد واحد منهم بالحكم والمجد والسلطان وفى هذا الصدد قد أوصى فلاسفة كثيرون بعد أفلاطون بضرورة التوازن أو الاعتدال بين عناصر الحكم ليكون أكثر دواماً واستقراراً.

أي أن الحكومة الأفضل كما يراها أفلاطون هي حكومة ارستقراطية من طبقة الفلاسفة مقيدة بهيئات نيابية تكفل التوازن بين السلطات المختلفة وهى بهذا الوصف وسط بين الطغيان والديمقراطية لأن الطغيان يسرف في حب السلطة والديمقراطية تغالي في حب الحرية فكلاهما فاسد في ذاته ولا يحقق للدولة العدالة المنشودة. بيد أن المزج بينهما بالقدر اللازم ينتج لنا النظام السياسي الأمثل.

لماذا يفضل أفلاطون نظام الحكم الجماعي؟

وأخيراً نجد أن أفلاطون يفضل الأسلوب الجماعي في نظام الحكم، بسبب:

- أن أعباء الحكم أكثر من قدرات الفرد.

- أن الفرد تحت تأثير نشوة الحكم قد يتحول إلى طاغية.

والضمانات التي وضعها أفلاطون لتجنب الانحراف تحت تأثير المصالح الذاتية هي:

ضرورة قيام الجمهور بمراقبة طبقة الحكام عن طريق تشكيل مجالس نيابية لتوفير التوازن والاعتدال في عناصر الحكم.

hadeel alnafea

خامساً: تقييم ونقد آراء أفلاطون

هذه هي أهم نظريات أفلاطون الاجتماعية. وقد أحدثت هذه النظريات حركة فكرية واسعة النطاق وتوفر الباحثون على دراستها وبحثها ونقدها من عهد تلميذه أرسطو إلى الآن.

لقد غالى النقاد كثيراً ونسبوا إلى أفلاطون أموراً لم يسلم بها.

لقد وضع أفلاطون نظرية فلسفية في المثل طبقها على النفس الإنسانية وطبقها على المعرفة وأراد أن يطبقها على الدولة مشبهاً إياها بالفرد، ومشبهاً قواها ووظائفها بقوى النفس ووظائفها، ووضع أمامه مثال الحاكم ومثال للمواطن.

لكن نظريته في التربية الاجتماعية ونظرته للمرأة والزواج والأسرة والتي دعا فيها أيضاً إلى المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، قد لاقت هجوماً عنيفاً، واستأثرت بأوفر قسط من التجريح والنقد اللاذع.

وانتقد الكثير أفلاطون لأنه دعا إلى إلغاء الملكية وإلى شيوعية النساء والأولاد، كما كان يغالى في طلب الكمال لأنه كان يريد شيوعية الثروات والنساء والأولاد.

لقد عدل أفلاطون في كتابه "القوانين" كثيراً من الآراء التي عرضها في كتاب "الجمهورية" فنراه مثلاً يخفف، من اتجاهه إلى الشيوعية ويعزز من النظام الأسري فصار أفلاطون يدعو إلى تدعيم الروابط الأسرية وينادي بعدم تقييد الزواج بأي إلزام اجتماعي أو ديني.

ويحارب حياة العزلة وظاهرة الطلاق أو انفصال الزوجين لأن هذه الظواهر تؤدى إلى تفتيت المجتمع. وينادى أفلاطون بضرورة احترام العرف والتقاليد والعقائد الدينية بوصفهم دستور غير مدون ولا يقل أهمية في حياة المجتمع عن الدستور المكتوب.

hadeel alnafea

المحاضرة الخامسة بعنوان

الدراسات الاجتماعية عند العرب (ابن خلدون) الجزء الأول

عناصر المحاضرة:

1- ضرورة قيام علم جديد.

2- كيفية وصوله إلى علم الاجتماع وفهمه ظواهره.

3- موضوع علم العمران وفروعه وأغراضه.

4- أسس الدراسة ومنهج البحث.

ابن خلدون

ابن خلدون: هو عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين بن خلدون الحضرمي، ولد في تونس 732هـ وتوفي بمصر سنة 808هـ، (1332م-1406م).

يعتبر ابن خلدون من أعظم مفكري القرن الرابع عشر الميلادي، وكان رجل بلاط وسياسة خدم ملوكاً كثيرين، وقام بأسفار ورحلات واتصل بشخصيات كثيرة وعاصر حوادث معقدة مما كان له أثره في حياته وفى بحوثه ودراساته، وكان فوق ذلك رجلا داعية وافر الذكاء يمتاز بذهنية دقيقة وقوة ملاحظة على التحصيل والإنتاج وكان واقعياً في اتجاهاته العلمية ولذلك جاءت دراساته اقرب إلى حقائق الأمور وأقرب إلى حقيقة المسائل المدروسة.

استعرض ابن خلدون كتب المؤرخين قبله ونفذها وصور مدى الانحطاط الذى نزل بالتاريخ ووجد أن الحاجة ماسة إلى كتاب جامع شامل لكتابة التاريخ على أساس جديد ومبادئ جديدة ومنهج جديد، يقوم على الشرح والتحليل وتحليل الحوادث وقد أدى به هذا المنهج إلى نوع جديد من الفلسفة هي الفلسفة الاجتماعية وانتهى به إلى تقرير ضرورة قيام علم جديد هو علم العمران الذى نسميه حديثاً بعلم الاجتماع.

أولاً: كيفية وصوله إلى علم الاجتماع وفهمه لظواهره.

قرأ ابن خلدون تاريخ العالم ولاسيما العالم الإسلامي وأرشدته دراسة هذا التاريخ إلى أن ما يحدث في العالم من ظواهر اجتماعية لا يسير حسب الأهواء والمصادفات ولا وفق إرادة الأفراد وإنما يسير وفق قوانين مطردة ثابتة لا تقل في ثباتها عن قوانين الظواهر الأخرى وهذا ما حمله على أن يرفض كثيراً من الروايات التاريخية التي لا تتفق مع هذه القوانين.

لقد أيقن ابن خلدون:

أن التاريخ في ظاهره لا يزيد عن الإخبار، ولكن في باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق.

فالطريقة التي تمحص بها الوقائع ترجع عند ابن خلدون إلى أصل واحد هو وجوب البحث بطريقة نظرية عما إذا كانت واقعة من الوقائع وممكنة في ذاتها وعما إذا لم تكن مناقضة لطبائع العمران وعما إذا كانت متفقة مع الزمان والمكان اللذين حدثت فيهما.

ولذلك يقول ابن خلدون:

"أن القانون في تمييز الحق من الباطل في الإخبار بالإمكان والاستحالة أن ننظر في الاجتماع البشري الذى هو العمران وتمييز ما يلحقه من الأحوال لذاته"

ويقرر فضلا عن ذلك "أن هذا النظر في الاجتماع البشري وما يشمله من الظواهر ينبغي أن يكون موضوعا لعلم جديد هو علم العمران"

يعد ابن خلدون أول مؤسس لهذا العلم الجديد والذي سمّاه:

- علم العمران البشري أو الاجتماع الإنساني. - وهو ما يطلق عليه اليوم "علم الاجتماع".

لقد حدد إطار هذا العلم في مقدمة كتابه الشهير:

(ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)

والذي نعرفه بـ "مقدمة ابن خلدون" وهذه المقدمة عبارة عن كتاب تاريخي

ومن هنا نرى أن ابن خلدون هو أول عالم يقرر في صراحة ووضوح نشأة هذا العلم الجديد واستكماله الخواص المنطقية التي يجب توافرها في كل علم من حيث الموضوع والمنهج والغاية التي يقصد إليها.

ولا ينكر ابن خلدون أن كثيرا من المسائل التي يعالجها هذا العلم قد عرضت لها طائفة من العلوم والدراسات الأخرى ولكنها لم تدرس بنفس الطريقة التي يعنيها ولا لنفس الغرض الذى يقصد إليه وهذه نقطة لها أهميتها في تمييز علم الاجتماع عن غيره من العلوم الأخرى.

ولا يكتفي ابن خلدون بأن يقرر أن المجتمع حقيقة يجب أن تدرس وأن علم الاجتماع هو الذي يدرس المجتمع البشري وما يلحقه من العوارض بل يحاول أكثر من ذلك أن يحلل الضرورة الاجتماعية ويكشف عن الدعائم التي تقوم عليها.

فيقول: "أن الاجتماع الإنساني ضرورة لأن الإنسان مدني بطبعه".

ويسير في شرح هذه القضايا على وتيرة من سبقه من المفكرين كأرسطو والفارابي، ويقرر أن عدم كفاية الفرد يدفعه إلى التعاون والاشتراك في حياة الجماعة ومن ثم ينشأ التضامن الذى يعتبر أقوى الدعائم التي يقوم عليها المجتمع. وهذا ما فطر عليه الإنسان من شعور نحو الجماعة يدفعه إلى الاستئناس بغيره، ليستكمل بذلك خواصه النوعية والجنسية فضلا عن حاجاته الضرورية.

وبدأ ابن خلدون بحوثه بدراسة العوامل التي ترجع إليها نشأة الحياة الاجتماعية وهي في نظره ثلاثة عوامل:

1- الضرورة الطبيعية.

2- الشعور الفطري الذى زودت به الإنسانية لتحقيق الحياة الاجتماعية.

3- ميل الفرد ورغبته الخاصة في تحقيق فكرة الجماعة.

1- الضرورة:

وهذه الضرورة طبيعية غير أن لها مظهرين وهما:

ضرورة اقتصادية لأن الفرد لا يستطيع أن يحصل على حاجاته إلا بالاجتماع، وضرورة دفاعية لأن الصراع الدائم بين البشر وبين الحيوانات المتوحشة أدى إلى الاجتماع والتعاون للاحتماء والقضاء على الصراع المشترك.

2- الشعور الفطري الذى زودت به الإنسانية لتحقيق الحياة الاجتماعية:

فالإنسان مزود بشعور فطرى تلقائي يدفعه إلى الاستئناس بأخيه الإنسان، وابن خلدون إذ يدخل هذه الظاهرة السيكولوجية في تكوين المجتمع ويعتبرها عاملا قويا في قيام الحياة الاجتماعية، يكون قد جاوز النظرية المادية التاريخية الحديثة التي تعتبر الضرورة الاقتصادية فحسب هي أساس المجتمع وأن كل ما يجرى على مسرح الحياة الاجتماعية إنما يرجع في أصوله ومبادئه إلى الظواهر المادية والاقتصادية على وجه الخصوص.

3- ميل الفرد ورغبته الخاصة في تحقيق فكرة الجماعة:

أي لابد من تدخل جانب الإرادة وإلا كانت الحياة الاجتماعية سلسلة من العدوان والاضطرابات، وإذ كانت الضرورة الطبيعية والنزعة التلقائية المفطور عليها الفرد قد أمنت الإنسان من المواد المفترسة وضمنت له حفظ النوع والإبقاء على الحياة فإن الرغبة والإرادة الفردية من ناحيتها تؤمن الفرد من أخيه وتدفع عدوان بعضهم على البعض الآخر فيستقر بذلك السلام ويعم الأمن.

لكنها جميعا ضرورات طبيعية لنشأة المجتمع

ضرورة التعاون: لا يمكن العيش في الحياة إلا بالتعاون مع الآخرين سواء بالحياة أو بالتعليم أو نواحي سياسية، اجتماعية، دفاعية، أخلاقية.

الضرورة الدفاعية: لتوفير الحماية البشرية، فلابد لقيام مجتمع من ضرورة دفاعية للدفاع سواء عن أفكار أو أديان في أي مجتمع من المجتمعات.

ضرورة السلطة لدرء العدوان بين الناس: من اجل النظام ولعدم إشاعة الفوضى ووقوع الجريمة أو التعدي على الآخرين.

ضرورة الاستئناس بالغير وهو شعور تلقائي طبيعي.

ضرورة الحياة الجمعية، ميل الفرد التلقائي بالفطرة للمشاركة في الحياة الاجتماعية.

وهذه خاصية يمتاز بها علم الاجتماع على العلوم الأخرى، خاصة العلوم الرياضية والفيزيائية والكيميائي، التي تعالج موضوعات مستقرة.

إن موضوع علم الاجتماع هو "بنو الإنسان في وجودهم الذي يقوم على الاعتماد المتبادل".

إن وحدة موضوع علم الاجتماع تتمثل في فردين يكونان معا علاقة بشكل ما.

ومتى نشأ المجتمع على الصورة التي ذكرناها فإنه يكون مسرحا لطائفتين من الظواهر هما:-

- الطائفة الأولى هي الظواهر الطبيعية: - والطائفة الثانية هي الظواهر الاجتماعية:

hadeel alnafea

الطائفة الأولى هي الظواهر الطبيعية

والمجتمع بصدد هذه الظواهر لا يخلقها ولا ينشئها ولكنه يجدها مستقلة عنه بطبيعتها فتؤثر فيه ويتأثر بها ويخضع لنتائجها ويكيف نفسه تبعا لمؤثراتها، ويرجع أهم هذه الظواهر إلى الوسط الطبيعي الذى يحيط بالمجتمع من بيئة وعوامل مناخية والجنس الذى يتكون منه المجتمع والدين الذى يدين به، وقد غالى ابن خلدون في تقدير أثار هذه الظواهر على الحياة الاجتماعية بشكل يؤخذ عليه.

والطائفة الثانية هي الظواهر الاجتماعية

والمجتمع بصدد هذه الظواهر يخلقها خلقا وينشئها إنشاء، وقد فطن ابن خلدون إلى أن هذه الظواهر لا توجد منفصلة بل تكون كلا متماسك الأجزاء ووحدة حية تتفاعل عناصرها وتشتبك آثارها فينتج عن ذلك ما نسميه بالدوافع والتيارات الاجتماعية، وما أشبه هذه الظواهر بفروع الشجرة المتناثرة في الفضاء والتي يجمعها جذع واحد هو المجتمع فيؤلف بينها ويكون منها عصبا واحد ا تستمد غذاءها منه، ولا نستطيع أن نفصل أي فرع منها إلا إذا ألحقنا ضررا بليغا بهذه الشجرة.

الظواهر التي تحيط بالإنسان في المجتمع: غير مستقلة عن بعضها البعض وتؤثر الواحدة بالأخرى: كالظواهر التربوية والاقتصادية والسياسية

الظواهر الطبيعية: وهي من خلق الطبيعة مثل الجنس - الدين المناخ

الظواهر الاجتماعية: وهي من خلق المجتمع مثل النظم - لتيارات - الاتجاهات

هذه هي أفكار ابن خلدون الرئيسية بصدد نشأة علم الاجتماع وطبيعة المجتمع.

وفكرته الأساسية واضحة: وهي أن حياة المجتمع تعطينا مادة لعلم موضوعي، فليس ثمة شيء اسمه مصادفة في الأعمال والظواهر الجماعية.

وما نسميه المصادفة ما هي إلا الأسباب الخفية التي يتعين على علم الاجتماع كشفها وتحليلها.

ومما يدل على وضوح فكرة المجتمع في ذهنه أنه قارن بين المجتمعات الحيوانية والبشرية من حيث الجوهر والعوارض ،فاجتماع الحيوان يكون مدفوعا إليه بالفطرة فقط أما الاجتماع الإنساني فالدوافع إليه هي الفطرة والعقل معاً.

وقد تمكن ابن خلدون بفضل تعمقه في دراسة هذه الأمور أن يضع أول أساس للفلسفة الاجتماعية.

ثانياً: موضوع علم العمران وفروعه وأغراضه.

موضوع علم العمران هو دراسة الاجتماع الإنساني وظواهره وهو في نظر ابن خلدون علم وضعي لأنه لم يعده من بين العلوم العقلية، ولم يهتم ابن خلدون بتعريف الظاهرة الاجتماعية وإنما اكتفى بأن ضرب أمثلة لها تدلنا على أنه كان يعرف طبيعتها وخصائصها ولكنه لم يكشف عنها نظرياً.

هذا ونجد أن ابن خلدون قد قسم موضوع علم الاجتماع إلى أقسام يضم كل قسم منها طائفة غير بسيطة من الظواهر الاجتماعية المتجانسة في طبيعتها ووقف على كل طائفة منها فصلا أو أكثر من مقدمته، وبالتأمل في هذه الفصول يتبين لنا أنه قسم ظواهر الاجتماع إلى قسمين أساسيين وهما:-

القسم الأول بحوث تتعلق ببنية المجتمع أو (المورفولوجيا): وهي البحوث التي تتناول دراسة الظواهر المتصلة بالبدو والحضر وأصول المدنيات القديمة التي وقف عليها الفصل الثاني، وتوزيع أفراد الإنسانية على المساحة التي تشغلها

والنظم التي تسير عليها المجتمعات في هجرة أفرادها وفى كثافتهم وتخلخلهم والمسائل التي تتعلق بتخطيط المدن والقرى.

والقسم الثاني هو دراسة النظم العمرانية: وتختلف هذه النظم باختلاف وجود النشاط العمراني ولذلك نراه يدرس كل طائفة منها على حده، من ذلك انه درس الظواهر السياسية في الفصل الثالث في مقدمته، ودرس الظواهر الاقتصادية في الفصل الخامس، ودرس الظواهر التربوية في الفصل السادس وعرض في ثنايا دراساته إلى بحث طائفة كبيرة من الظواهر العائلية والأخلاقية والجمالية والدينية واللغوية وظواهر أخرى تتعلق بالسحر والشعوذة والرقي والتمائم.

أما فيما يتعلق بالأغراض التي كان ابن خلدون يرمي إليها من إنشاء علم الاجتماع فهي نوعان:

- أغراض مباشرة: هي أغراض نظرية تتلخص في ضرورة الكشف عن طبيعة الظواهر الاجتماعية ووظائفها والوقوف على القوانين التي تخضع لها.

- وأغراض غير مباشرة: فتتلخص في الانتفاع بحقائق الاجتماع وقوانينه في تصحيح حقائق التاريخ وتعليل حوادثه أي أن ثمرة علم الاجتماع هي تصحيح الأخبار التاريخية من الأخبار الكاذبة والخاطئة.

التقسيم المنهجي لظواهر علم الاجتماع

ظواهر تتعلق بالنظم العمرانية: النظم الاجتماعية

ظواهر تتعلق ببنية المجتمع أو ما سماه فيما بعد دور كهايم "المورفولوجيا الاجتماعية"

المورفولوجيا الاجتماعية: علم البنية الاجتماعية، وهي مجموعة الظواهر التي تتصل بالبدو والحضر وأصول المدنيات القديمة وتوزيع أفراد الإنسانية على المساحة التي تشغلها، والنظم التي تتبعها وشروط مواقعها ووظائفها

أهداف علم الاجتماع:

دراسة الظواهر الاجتماعية للكشف عن العلاقات التي تربط بينها وكذلك القوانين الثابتة التي تحكمها. لأن الظواهر لا تسير حسب الأهواء والمصادفات، ولا حسب ما يريده الأفراد بل وفق قوانين ثابتة. وهذا يمكن أن يكون:

أ) هدفا مباشرا يقوم على أسس نظرية هدفها الكشف عن طبيعة الظواهر الاجتماعية ووظائفها.

ب) هدفا غير مباشر يتلخص في الانتفاع بحقائق الاجتماع وقوانينه في تصحيح حقائق التاريخ وتعليل حوادثه

علم الاجتماع علم متكامل، علم مستقل بنفسه، وموضوعه العمران البشري والاجتماع الإنساني، وما يلحق المجتمع من العوارض الذاتية أي "القوانين".

- يدرس الظواهر الاجتماعية في حالة سكونها/استقرارها (استاتيكيتها)

- درس الظواهر الاجتماعية في حالة ديناميكيتها/تطورها

فكأن ابن خلدون يقرر أن علم الاجتماع علم نظري تقريري يرمى إلى شرح ما هو كائن محاولا الوقوف على طبيعة الحقائق المدروسة وعناصرها ووظائفها والقوانين التي يخضع لها، وله جانب فني تطبيقي يرمى إلى الانتفاع بنتائج هذه الدراسة العلمية التحليلية في تصحيح التاريخ.

naderalmafa

ثالثاً: أسس الدراسة ومنهج البحث:

كانت غاية ابن خلدون الاجتماعية هي أن يشرح ظواهر العمران بمختلف أنواعها وخاصة ما يتعلق منها بناحية التطور الاجتماعي.

فرأى أنه من الضروري أن يبدأ بدراسة القوانين التي يحدث التطور طبقا لها.

هناك قوانين تسير الحركة الاجتماعية و يجب الوصول إلى هذه القوانين ويجب أن ندرس المجتمع البشرى في ذاته.

هذه هي الدراسة التي جعل منها ابن خلدون موضوعا لعلم مستقل هو علم الاجتماع.

وظيفة علم الاجتماع إذن: هي الكشف عن القوانين التي تسير وفقا لهذه الظواهر العمرانية في نشأتها وتطورها والوظائف التي تؤديها.

وللوصول إلى هذه الغايات النظرية، اتبع ابن خلدون في بحوثه ودراساته منهجا مختلفا لمناهج سابقيه، قائما على دعائم من:

- الملاحظة والتجربة الشخصية. - والمنطق العلمي. - واستقراء الحوادث. – التحليل. – والمقارنة.

ومنهج ابن خلدون ينقسم إلى قسمين وهما:-

القسم الأول نقدي سلبي: وهو القسم الذى يعرض فيه أخطاء من سبقه من المؤرخين ويطلب فيه تجريد عقل الباحث أو المؤرخ من هذا الأخطاء.

والقسم الثاني وصفي تحليلي أو ايجابي: ويقوم على إتباع الأسس المنهجية التي ترشد الباحث في الوصول إلى القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية.

في القسم الأول وهو القسم النقدي فقد عدد فيه ابن خلدون أخطاء المؤرخين، ولخص ابن خلدون الأسباب التي أدت بهم إلى هذه الأخطاء في الأمور الآتية:

أولاً: الاقتصار في الأخبار على مجرد النقل لأن الاعتماد على النقل وعدم النظر في أصول العادة وقواعد السياسة وشئون المجتمع وعدم قياس الغائب بالشاهد والحاضر بالذاهب، ولابد أن يؤدى بنا إلى الابتعاد والحياد عن جهة الصواب.

ثانياً: التشيع للآراء والمذاهب لأن هذا التشيع يجرد الباحث من حريته ويجعله أسيرا لهذا الرأي.

ثالثاً: الثقة بالناقلين وتصديق الباحث لما يرويه ثقافة المؤرخين، فيجب على الباحث ألا يركن إلى هذه الثقة بل ينبغي أن يطبق على الحوادث التاريخية الطريقة النقدية بناحيتيها، النقد الداخلي والنقد الخارجي، بمعنى أنه يجب التأكد من أمانة الراوي وصدقه وسلامة ذهنه وطهارة عقيدته ومتانة خلقه وقيمته الشخصية. وهذه كلها مقومات النقد الخارجي، ومن ناحية ثانية يجب مناقشة الرواية في ذاتها ومعرفة إلى أي مدي تتفق مع طبائع الأمور ومع الظروف والملابسات التي يحكيها الراوي ومناقشة كل ما يتعلق بمادة الرواية، وهذه كلها من أهم مقومات النقد الداخلي.

رابعاً: ومن الأخطاء ما يسميه ابن خلدون بالذهول عن المقاصد، فكثير من المؤرخين أو الناقدين يجهلون الغاية مما يسمونه من الناس ويذهبون في صدد الروايات مذاهب شتى من الظن والحدس والتخمين ويغفلون الغاية المنشودة من قص الحوادث أو سرد الروايات فيقعون في الكذب لا محالة.

خامساً: ومن بين الأخطاء تقرب العلماء والمؤرخين من أصحاب المراتب العالية والسلطات بالثناء والمديح، فقد أدى هذا التقرب إلى أنهم قلبوا الحقائق وأفسدوا الوقائع وذلك في سبيل حصولهم علي الجاه. فجاءت بحوثهم مناقضة لما تراه ضمائرهم.

سادساً: أما الخطأ الفادح في نظر ابن خلدون فهو جهل المؤرخين بطبائع الأحوال في العمران. لأنه يجعل الإلمام بطبائع العمران وأحواله المحك الأساسي لمعرفة حقيقة الحوادث وتمحيصها.

هذه هي أهم الأخطاء التي أودت بالمؤرخين إلى الزلل.

ولا يستقيم التاريخ ولا يستقيم الفكر في شؤون العمران إذا تخلصنا من آثار هذه الأخطاء وجردنا العقل من شوائبها.

وهذا القسم النقدي مهم جدا للمؤرخ وعالم الاجتماع على السواء.

وقد كان ابن خلدون موفقا في تقرير هذه الأخطاء، فقد دلّ تحليله على عقلية دقيقة، وعلى أنه أمام مدرسة جديدة في البحث والدراسة.

إن ثروة الأمم بكثرة سكانها المحبين للعمل ، والمجيدين له ، المبدعين فيه .،، "ابن خلدون"

hadeel almafea

المحاضرة السادسة بعنوان

الدراسات الاجتماعية عند العرب (ابن خلدون) الجزء الثاني

عناصر المحاضرة:

1- القواعد المنهجية القسم الوصفي الإيجابي.

2- خواص ظواهر الاجتماع الإنساني.

3- الدراسات الاجتماعية والنتائج التي وصل إليها ابن خلدون.

4- قانون الأطوار الثلاثة للمجتمع الإنساني.

5- دراساته السياسية.

6- دراساته الاجتماعية الأخرى.

7- نقد آراء ابن خلدون.

أهداف المحاضرة:

1- تفسير القواعد المنهجية عند ابن خلدون.

2- وصف ظواهر الاجتماع الإنساني.

3- تحليل الدراسات الاجتماعية والنتائج التي وصل إليها ابن خلدون.

4- شرح قانون الأطوار الثلاثة.

5- نقد آراء ابن خلدون.

وظيفة علم الاجتماع

هي الكشف عن القوانين التي تسير وفقا للظواهر العمرانية في نشأتها وتطورها والوظائف التي تؤديها.

وللوصول إلى هذه الغايات النظرية، اتبع ابن خلدون في بحوثه ودراساته منهجا مختلفا لمناهج سابقيه، قائما على دعائم من:

- الملاحظة والتجربة الشخصية.
- والمنطق العلمي.
- واستقراء الحوادث.
- التحليل.
- والمقارنة.

hadeel alnafea

ومنهج ابن خلدون ينقسم إلى قسمين وهما:-

- القسم الأول نقدي سلبي: وهو القسم الذى يعرض فيه أخطاء من سبقه من المؤرخين ويطلب فيه تجريد عقل الباحث أو المؤرخ من هذا الأخطاء.
- والقسم الثاني وصفي تحليلي أو ايجابي: ويقوم على إتباع الأسس المنهجية التي ترشد الباحث في الوصول إلى القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية.

ولا يستقيم التاريخ ولا يستقيم الفكر في شؤون العمران إلا إذا تخلصنا من آثار هذه الأخطاء وجردنا العقل من شوائبها.

وهذا القسم النقدي مهم جداً للمؤرخ وعالم الاجتماع على السواء.

وقد كان ابن خلدون موفقاً في تقرير هذه الأخطاء، فقد دلّ تحليله على عقلية دقيقة، وعلى أننا أمام مدرسة جديدة في البحث والدراسة.

ابن خلدون

بعد أن يحدثنا ابن خلدون عن الأخطاء المشار إليها بالقسم الأول وهو القسم النقدي ينتقل بنا إلى القواعد المنهجية التي تكون القسم الثاني الايجابي عن منهجه واليك أهم هذه القواعد:-

أولاً: يجب الاعتماد على الملاحظة المباشرة وما تؤدى إليه التجربة.

ثانياً: يجب تفسير الظواهر وتحليلها واستخدام منطق التعليل.

ثالثاً: يجب الاعتماد على منطق المقارنة أو منهج البحث المقارن.

رابعاً: يجب قياس الأخبار على أصول العادة وطبائع العمران فلا يصح أن نأخذ الحوادث والأخبار كما تلقى علينا بل يجب أن ننظر هل هي ممكنة في ذاتها أو مستحيلة، وهذا النظر يتطلب منا معرفة تامة بطبيعة الظواهر الاجتماعية.

خامساً: يجب دراسة تطور الظواهر والنظم العمرانية.

أولاً: يجب الاعتماد على الملاحظة المباشرة وما تؤدى إليه التجربة.

نستطيع بالملاحظة وبما نشاهده التعرف على العالم بصورة يقينية إلى حد ما. وقد رفض ابن خلدون الأقيسة المنطقية لأنها لا تتفق مع طبيعة الأشياء المحسوسة، التي لا يمكن معرفتها إلا بالملاحظة. ويعتبر أن ما يزعمه البعض عن إمكان الوصول إلى الحقيقة بمجرد استعمال قوانين المنطق هو وهم كاذب. فالمنطق لا ينتج معرفة بل يرسم طريق التفكير، وهنا تكمن أهميته. لكن التجربة هي الأساس.

ثانياً: يجب تفسير الظواهر وتحليلها واستخدام منطق التعليل.

لهذه القاعدة أهمية كبيرة في الكشف عن القانون العلمي. فالتعليل قانون عقلي استخدمه المفكرون في جميع العصور وفي مباحث عديدة. وقد سجل ابن خلدون بهذا انتصاراً علمياً حيث كان من أوائل المفكرين الذين أدخلوا هذه القاعدة على الظواهر الاجتماعية، وهو بذلك وضع أسس المنهج الوضعي في الدراسات الاجتماعية.

ثالثاً: يجب الاعتماد على منطق المقارنة أو منهج البحث المقارن.

لقد أدرك ابن خلدون قيمة هذه الوسيلة من خلال الأسفار التي قام بها، ورحلاته الطويلة التي أدرك بها سر تباين المجتمعات وتشابهها. فقد أرجع هذه العوامل إلى أثر البيئة والعوامل الجغرافية، ولذلك عرض بإسهاب أثرها في أخلاقية

hadeel alnafea

الشعوب وطباعهم وأحوالهم الاقتصادية، ومدى تأثر الظواهر السياسية بهذه العوامل. ومما يدل على اهتمامه بالمنهج المقارن أنه كتب فصلاً كاملاً عن عوامل التباين في المجتمعات، ودرسها دراسة علمية وصفية تحليلية.

وفيما يخص القاعدة الرابعة والخامسة ، يريد ابن خلدون أن يقول أن دراسة المجتمع تولد عند الإنسان الاستعداد لإدراك القوانين الضرورية التي تحكم الظواهر.

والحق أن ابن خلدون أصاب الحقيقة في تقريره للقاعدة الأخيرة:

لأن دراسة تطور الظواهر تعتبر أهم أركان المنهج التاريخي.

وقرره في عبارة شهيرة:

"إن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة، وانتقال من حال إلى حال..."

من أهم خواص ظواهر الاجتماع الإنساني:

أنها لا تدوم على حال واحد ومنهاج واحد، فهي متغيرة، وتختلف أوضاعها باختلاف الأمم والشعوب، وتختلف في المجتمع الواحد باختلاف العصور

وهذا ما فطن إليه ابن خلدون، وجعله أساساً لبحوثه في علم الاجتماع.

رابعاً: الدراسات الاجتماعية والنتائج التي وصل إليها ابن خلدون.

استفاد ابن خلدون من دراسة التاريخ الإسلامي ومن دراسته للشعوب الشرقية والوقوف على أسباب نشأتها وازدهارها ثم اضمحلالها وقيام دولة على أنقاض دولة أخرى.

ولذلك يقول ابن خلدون:

واستفاد ابن خلدون من كل هذه الأمور باستخلاصه قانوناً أساسيا يحكم حركة المجتمعات الإنسانية: وهو قانون الأطوار الثلاثة للمجتمع الإنساني

فكل مجتمع لابد أن يسير في الطريق الطبيعي:

1- الطور أو مرحلة النشأة والتكوين.

2- ثم طور النضج والاكتمال.

3- وأخيراً طور الهرم والشيخوخة.

حيث يقوم على أنقاضه مجتمع آخر يسير في المراحل نفسها التي سار فيها المجتمع السابق.

فالحركة الاجتماعية في نظره مستمرة وتؤدي وظيفتها بشكل آلي، فهي لا تنقطع، والمجتمعات الإنسانية لا تقف، والموت الاجتماعي أو فناء نظم المجتمع هو نقطة نهاية وبداية، فحيث ينتهي مجتمع ما، لا بد أن يستأنف السير مجتمع آخر، والمجتمعات الإنسانية ولو أنها تخضع حتماً لهذه الأدوار المتتابعة، غير أنها تختلف في مدى احتمالها لمرحلة دون الأخرى. أي أن القانون يختلف في شدته ودرجته باختلاف المجتمعات الإنسانية ، فمنها ما يبقى مدة طويلة في دور النضج، ومنها ما يصير إلى الشيخوخة ومنها ما يموت يافعاً.

hadeel alnafea

ودرس ابن خلدون خصائص كل مرحلة من هذه المراحل.

- فدرس ظاهرة العصبية بوصفها المجتمع القبلي
- ثم درس العوامل الديناميكية التي تؤدي بالمجتمع القبلي إلى التطور وهي العصبية والفضيلة والدعوة الدينية
- ودرس دعائم المجتمع المتحضر من حيث الانفراد بالمجد والسلطان

<u>وانتهى إلى تقرير حقيقة هامة وهي:</u>

(أن الهِرمْ إذا تنزل بدولة فإنه لا يرتفع) أي أن الإصلاح الاجتماعي لا يجدي قليلا متى شاخت الدولة وهرمت وأصيبت بانهيار روحي وخراب مادي.

ودرس ظاهرة التقدم الاجتماعي وقرر في هذا الصدد أن المراحل التطورية السابقة مصحوبة بتقدم ملحوظ في أحوال المعيشة وفي مستحدثات النظم والحياة الاجتماعية. غير أن هذا التقدم مآله إلى الجمود ثم النكوص عندما يتطرق الفساد إلى قلب الدولة. وشرح العوامل التي تساعد على زيادة سرعة التقدم ، ومنها العوامل المورفولوجية والبيئية وعدد السكان وعدالة الحكومة واستطالة سلطان الدولة.

ولهذا قرر أن هناك علاقة وثيقة بين عمر الحضارة وعمر الدولة. فقرر أن الحضارة تحدث آثاراً سيئة في الجسم والعقل وفي أخلاق الناس، لأنها تؤدي إلى الترف . وهذا بدوره يؤدي إلى السكان والدعة.

وهذه الظاهرة تؤدي إلى الخمول وضعف الوعي القومي.

فالتقدم الحضاري بالرغم من كونه دليلا على مدى ما وصل إليه المجتمع من الرقي يحمل معه كما يحمل الرقي السياسي وأسباب الاضمحلال وعوامل الفناء ، وقد بلغ به التشاؤم إلى حد أنه قرر أن الحضارة نهاية العمران وبها يتم فساده.

دراساته السياسية

بدأ ابن خلدون بحوثه السياسية: بتحليل وجود النظام السياسي، وتعليل قيام الحكومة تعليلا عقليا اجتماعيا.

ويقسم ابن خلدون النظام السياسي إلى شكلين:

- المجتمعات التي تسير على سياسة عقلية
- المجتمعات التي تكون محكومة بسياسة دينية

والسياسة العقلية في نظره هي النظام الذى يقرره فلاسفة الدولة أو التشريع الذى يرتضيه عقلاؤها

والسياسة الدينية هي الذى يفرضه نبي من الأنبياء موحى إليه من الله سبحانه وتعالى والسياسة الدينية في نظره أفضل من الأولى.

وتكلم ابن خلدون عن الدولة والدعائم التي تقوم عليها. وهذه الدعائم في نظره أربعة:

- العصبية
- والفضيلة
- ووجود دعوة دينية أو مبدأ سياسي
- ثم ضعف دولة سابقة حتى يتاح قيام دولة أخرى على أنقاضها وشرح عامل من هذه العوامل بالتفصيل.

hadeel alnafea

ومتى تكونت الدولة فلابد لها من سياسة تنظم أمرها، ولابد من ملك يحكمها.... والملكية في نظره وظيفة طبيعية شريفة في مطلبها ولها خواص جوهرية تنزع إليها وتسعى وراءها ويلخصها ابن خلدون في ثلاثة الانفراد بالمجد والسلطان ثم النزوع إلى الترف وأخيرا السكون والدعة لأن الملك قد وصل إلى غاية الغايات.

مراحل تطور الدولة

والدولة كحقيقة اجتماعية تخضع للتطور، وقد صور ابن خلدون مراحل تطور الدولة قائلا : أن الدولة تنتقل في أطوار وحالات متجددة ويكتسب القائمون بها في كل طور خلقا جديدا وهذه الأطوار لا تعدو في الغالب ما يأتي:-

- طور الظفر بالبغية والاستيلاء على الملك وانتزاعه من أيدي الدولة السابقة والعمل على تدعيمه.
- طور الاستبداد والانفراد بالسلطة والتنكر لأهل العصبية القاهرة والالتجاء إلى اتخاذ الموالي وجنود الارتزاق.
- طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك مما ينزع إليه طبائع البشر من تحصيل المال وتخليد الآثار وبعد الصيت.
- طور القناعة والمسالمة ويكون صاحب الدولة قانعا بما ورثه عن آبائه ويكتفي باقتفاء آثارهم وسيرتهم.

أخيراً: طور الإسراف والتبذير

ويكون صاحب الدولة في هذا الطور متلافا مبذرا خاضعا لنزواته وشهواته وسرعان ما تصاب الدولة بالهرم الذى يؤذن بانحلالها وفنائها لأن الهرم إذا نزل بدولة فإنه لا يرتفع.

عمر الدولة ومراحل المجتمع السياسي

ولمس ابن خلدون وهو يدرس الدولة نقطة طريفة حقا وهى تحديد عمرها وقد حدده بمائة وعشرين سنة لأن المجتمع السياسي في نظره يمر بثلاثة مراحل وهي : الطفولة والشباب والشيخوخة وكل مرحلة تمثل في نظره جيلا ، والجيل في عرفه لا يعدو أربعين سنة ، وفى هذا الصدد يقول أن الدولة في الغالب لا تعدو أعمار ثلاثة أجيال والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط فيكون أربعين سنة والذي يعبر عن انتهاء النمو والوصول إلى غايته ، وفى ضوء هذا التقدير تعمر الدولة مائة وعشرون سنة.

ومن الطبيعي أن يدرس ابن خلدون وهو العالم المسلم ظاهرة الخلافة الإسلامية وهي ابرز الظواهر السياسية التي ظهرت على مسرح الحياة الاجتماعية وبدون الدخول في تفاصيل نشأة هذه الظاهرة بعد وفاة الرسول وتطورها وتطور وظائفها السياسية والدينية.

ويتكلم ابن خلدون في شرط الخلافة وهي في نظره أربعة:

- العلم
- والعدالة
- والكفاية
- وسلامة الحواس والأعضاء ، مما يؤثر في الرأي والعمل.

ودرس ابن خلدون ظاهرة الحرب واعتبرها أمرا طبيعيا في البشر لا تخلو منه أمة ولا جيل وأصلها إرادة انتقام البشر من بعض وسبب هذا الانتقام في الأكثر إما غيرة ومنافسة وغما عدوان وغما غضب لله ولدينه وإما غضب للملك وسعى في تمهيده.

hadeel almatea

وقدم ابن خلدون صفحات رائعة في دراسته لظاهرة الظلم الاجتماعي وفى هذا الصدد يقول "أن العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها لما يرونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهى بها من أيديهم" وهو مؤذن بخراب العمران ويستعجل عمر الدولة قبل الأوان.

دراساته الاجتماعية الأخرى

درس ابن خلدون الظواهر الاقتصادية ، واعتبر الضرورة الاقتصادية دعامة من دعائم نشأة المجتمع وشرح وجود الكسب الطبيعي وغير الطبيعي:

فالزراعة والصناعة والتجارة وجوه طبيعية لكسب الرزق

وأما الإمارة والخدمة والاشتغال بالسحر والشعوذة فهي وجوه غير مشروعة للكسب أو للارتزاق

ومع ذلك وفق ابن خلدون إلى تقرير عدة قواعد اقتصادية هامة منها:

- أن الصنائع إنما تكمل بكمال العمران الحضري وأن رسوخ الصنائع في الأمصار إنما هو برسوخ الحضارة وطول أمدها
- وأن الصنائع إنما تستجاد وتكثر إذا كثر طالبوها.

الظواهر الأخلاقية في المجتمع

درس ابن خلدون الظواهر الأخلاقية في المجتمع واستأثرت هذه الناحية بمزيد عنايته ، وأوضح أثرها في مبلغ تقدم المجتمع وفي مدى مقاومته لظواهر الهدم ، وقدم لنا ابن خلدون ناحية هامة من نواحي البحث الأخلاقي وهي دراسة أخلاق الملوك والأمراء وقدم لهم في هذا الصدد وصايا ونصائح تعتبر نتيجة مباشرة لتجاربه الشخصية وثمرة من ثمرات حياته العملية وظروفه الخاصة التي اضطرته أن يخدم معظم ملوك عصره.

وفضلا عن ذلك وجه ابن خلدون مزيد عنايته إلى دراسة الناحية التربوية ودرسها كما يدرس علم الاجتماع وشرح اثر الحضارة في العلوم والمعارف ووضع في هذا الصدد قواعد تربوية.

وجميع قوانين ابن خلدون وأفكاره التي اشرنا إليها مستمدة من ملاحظاته لظواهر الاجتماع التي شاهدها أو عرف تاريخها بدون أن يستوحى مبدأ فلسفيا أو يتأثر بأفكار سابقة.

خامساً: نقد آراء ابن خلدون.

كانت نظريات ابن خلدون فيما يتعلق بالدعائم التي تقوم عليها الحياة الاجتماعية هدفا لانتقادات كثيرة من جانب علماء الغرب:

فادعوا أن فكرته عن المجتمع لم تكن واضحة كل الوضوح، ووصفوه بأنه من أنصار المدرسة الحيوية، وأنه اعتمد في دراسته لظواهر المجتمع على دراسة الفرد، وأنه أرجع معظم العوامل المؤثرة في ظواهر الاجتماع إلى عوامل بيولوجية. فأساءوا فهم آرائه وخرجوا بها عن القصد وأخذوا بعض معانيه على ظاهرها بدون تحقيق او تمحيص.

ومثال لذلك قوله "المجتمع يولد كما يولد الفرد ويمر كما يمر الكائن الحي في ادوار الطفولة والشباب والرجولة والشيخوخة".

فالمجتمع جسم مركب والنظم الموجودة فيه هي بمثابة أعضاء هذا الجسم

ويعيب كثير من المفكرين على ابن خلدون أنه لم يلتزم في تعليلاته القواعد المنهجية التي اشرنا إليها فيما سبق وأنه وقع أسيرا لتأثير الدين والسحر والرقي والتمائم ، ورأى هؤلاء النقاد أنه كان من الواجب أن ترتفع ذهنية ابن خلدون عن التسليم بهذه الأساليب الشعبية الدارجة.

بيد أن ما يوجه من نقد برئ إلى ابن خلدون هو أنه لم يحسن استغلال قواعده المنهجية ولم يسر في تطبيقها إلى النهاية

فالخطأ الذى وقع فيه ابن خلدون يرجع إلى نقص كبير في استقراء الظواهر. فهو لم يستقرئ الظواهر إلا عند أمم معينة وفي عصور خاصة

وانتهي من هذا الاستقراء الناقص إلى أفكار وقوانين ظن أنها تصدق في كل مجتمع وفى كل زمان، بل بالعكس يدلل على روحه العلمية وأحكامه التقريرية واتجاهه الوضعي.

وإذا تركنا هذه الانتقادات الجزئية لا يسعنا إلا أن نقرر أن ابن خلدون هو أول مفكر انشأ علم الاجتماع وأقام دعائمه ورسم منهجه وعين موضوعه وأبوابه ودرس ظواهره.

غير أن بحوثه التي اشرنا إليها لم تنل ما كانت تستحقه من الذيوع والانتشار والمتابعة والمثابرة ، فلم يترك من بعده تلاميذ ومريدين أبرارا يحملون رسالته ولذلك أبخله التاريخ حقه إلى حين حتى قام بعض المستشرقين في القرن التاسع عشر بترجمة مقدمته والتعليق عليها ومن ثم ارتفع ابن خلدون في النقد المعاصر إلى مصاف علماء الاجتماع واعتبر بحق أول منشئ للعلم.

إن ثروة الأمم بكثرة سكانها المحبين للعمل ، والمجيدين له ، المبدعين فيه .،، "ابن خلدون"

انتهى مبحث ابن خلدون.

hadeel alnafea

المحاضرة السابعة بعنوان

التفكير الاجتماعي عند اليونان – أرسطو

عناصر المحاضرة

- نظرياته

- الرق
- الحكومات
- المدينة الفاضلة
- نشأة المجتمع السياسي ومقوماته
- الأسرة
- التربية

أهداف المحاضرة:

التعرف على نظريات أرسطو الاجتماعية ومناقشتها وتحليلها

(أرسطو 384 – 322 ق.م)

- أرسطو أو أرسطوطاليس Ἀριστοτέλης
- مفكر وفيلسوف يوناني قديم، وهو من تلاميذ أفلاطون، اشتهر بلقب «المعلم الأول». كتب في مواضيع متعددة، شملت جميع العلوم.
- وفي عام 367 ق.م. رحل أرسطو إلى أثينا للالتحاق بمعهد أفلاطون، كطالب في البداية، وكمدرس فيما بعد.
- كتب أرسطو بطريقة منظمة في الفلسفة الاجتماعية. وقد قامت آراؤه الاجتماعية على أصول فلسفته، وانسجمت معها.
- تتصف آراءه بأنها أقل اندفاعا وتهورا من آراء أفلاطون، حيث كان أكثر عقلانية من أفلاطون، وأكثر تلمسا للحياة الواقعية وأشد اعتمادا على التجربة النظرية في بحوثه الاجتماعية.
- لم يلجأ أرسطو إلى الخيال كما فعل أفلاطون، بل استخدم المنهج العقلي.

يعتبر كتاب أرسطو «السياسة» المرجع الأساسي للوقوف على نظرياته في شؤون السياسة والاجتماع، اتبع به أرسطو المنهج التحليلي التاريخي.

لم يخلق دولة صناعية -خيالية- كما فعل أستاذه أفلاطون في «الجمهورية». بل درس الدولة من حيث هي في الوجود الطبيعي، واستنبط آراؤه السياسية والاجتماعية من النظم وأشكال الحكم القائمة، معتمدا على حقائق التاريخ ومشاهداته كأساس لبحوثه.

أهم النظريات الاجتماعية التي عالجها أرسطو

- نشأة المجتمع السياسي ومقوماته. - التربية. - الرق.

- الحكومات الصالحة وقيام الثورات. - قيام مجتمع فاضل. – الأسرة.

hadeel alnafea

أين وجدت نظريات أرسطو الاجتماعية؟

كتاب السياسة

- نظرية الرق
- نظرية نشأة المجتمع
- نظرية قيام مجتمع فاضل
- نظرية قيام الثورات

<u>أولاً: الدعائم التي يقوم عليها الاجتماع السياسي.</u>

<u>ما هي أهم الموضوعات التي تحدث عنها أرسطو؟</u>

من أول الموضوعات التي تناولها أرسطو بالدراسة، هو موضوع تكوين الجماعات السياسية ويقصد بها الجماعات الاجتماعية.

وتعتبر الأسرة أول خلية اجتماعية. فالأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولى، باعتبارها أول اجتماع تدعو إليه الطبيعة البشرية، بمعنى أن هناك حاجة أولية تتطلب اجتماع كائنين لا غنى لأحدهما عن الآخر.

الأسرة

القرية

القرى

الدولة\المدينة

- الأسرة هي الوسط الصحيح الذي تتحقق فيه الحياة الاجتماعية، ووظيفتها إشباع الحاجات اليومية.
- وينشأ عن اجتماع عدة أسر متجاورة القرية، ويسميها أرسطو «المستعمرة الطبيعية للأسرة»، لتنوع وظائفها، والتي يشكل مجموعها الدولة (أو المدينة)، الدولة إذن هي أكمل الوحدات الاجتماعية وتتوافر فيها فرصة الاكتفاء الذاتي.
- الدولة إذن من خلق الطبيعة وإنتاجها، ووظيفتها تحقيق سعادة الأفراد، تلك السعادة التي لا تتحقق بدون الدولة.

ويركز أرسطو على الفرد باعتباره كائنا سياسيا ومدنيا بطبيعته. أي أن الإنسان لا يمكن له العيش بعزلة ولا يمكن فصله عن الحياة الاجتماعية.

فقد وهبته الطبيعة صفة النطق واللغة للتعبير عن الخير والشر وهو بذلك بحاجة للعيش ضمن الجماعة كي يعبر عن نفسه.

وهذا الميل الذي يشعر به الفرد نحو الاجتماع مع الآخرين تدفع إليه الطبيعة.

أرسطو يرى إذن أن الطبيعة هي التي تدفع الناس بصفة غريزية إلى الاجتماع السياسي وهذا الاجتماع لابد وأن يقوم على القانون وتحقيق العدالة.

hadeel alnafea

لكن ما الذي ينظم علاقات الأفراد بعضهم ببعض؟

يجيب أرسطو بأن الإنسان يحتاج إلى قوانين لتنظيم علاقات الأفراد بعضهم ببعض.

- القانون: هو قاعدة الاجتماع السياسي.
- العدالة: من الضرورات الاجتماعية.
- الأحكام العادلة: هي التي تشكل القوانين.

وينتهي أرسطو إلى أن الفرد وإن كان الحقيقة الأولى في البناء الاجتماعي، إلا أنه يذهب في المجتمع وتتلاشى شخصيته في شخصية المجتمع. ذلك أن الدولة هي لحمة النسيج والأفراد خيوطه، على اعتبار أن الدولة هي التي تحقق للفرد وجوده.

ماذا يقصد أرسطو بقوله ان تماسك الدولة عضوي لا ميكانيكي؟

• يرى أرسطو أن تراكم الأسر أو القرى لتكوين المدن في الدولة ليس تراكم ا عدديا ، بل هو تلاحم في جسد واحد أي مثل تآلف أعضاء الجسم، لا يمكن فصل الأعضاء عن بعضها، إنه تماسك عضوي لا ميكانيكي.

•علاقة الفرد بالدولة إذن هي علاقة عضوية، ولذلك فإن سلامة أفراد المجتمع هو سلامة للدولة.

الفرد يتميز بشخصيتين

- شخصية جمعية يتكون بها في المجتمع
- شخصية فردية يتكون بها في نفسه

وفى ضوء هذه الاعتبارات يقرر أرسطو أن الدولة نمو طبيعي للقرية، والقرية نمو طبيعي للأسرة، والدولة ليست مجموعة من الأفراد فقط ، ولكنها مجموعة من الوحدات تكون وحدة عضوية ترتبط أجزاؤها وتتضافر لتضمن استقرار المجتمع ودوامه.

ماهي وظيفة الدولة برأي أرسطو؟

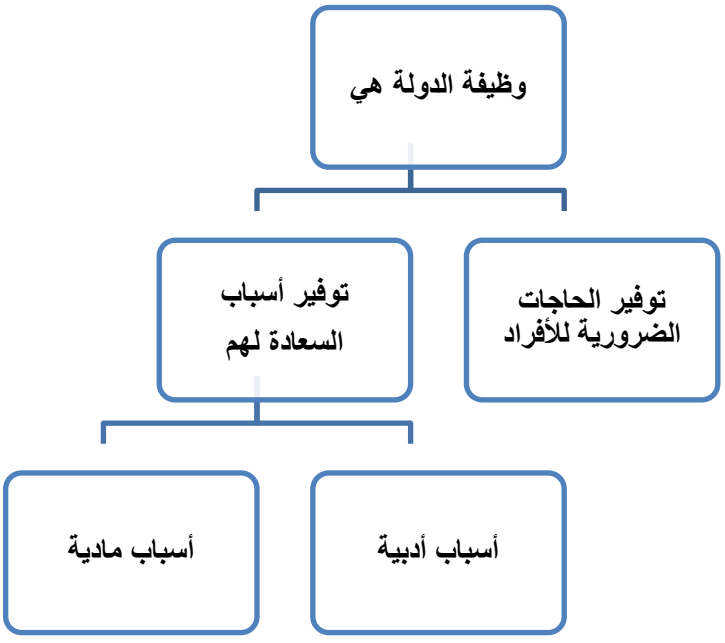

hadeel alnajea

أسباب أدبية

- الاعتناء بنظم التربية والتعليم والثقافة العامة
- توفير الاستقرار والأمن بالداخل والخارج

•يربط أرسطو الأسباب المادية بمبحث آخر هو في صميم العلم الاقتصادي، وهو: «**علم الثروات**»

وذلك لأن الأسرة في حاجة ماسة إلى تحصيل الثروة لإشباع حاجاتها الضرورية، والإنفاق على مطالبها. وهذا التحصيل للثروة يتم بطريقتين هما:

- تحصيل الثروة بشكل طبيعي والتي تتمثل في (الزراعة - الصيد – تربية الحيوان – الطيور)
- تحصيل الثروة بشكل غير طبيعي (التجارة والصناعة وقرض الأموال)

والجدير بالذكر هو تطرأ أرسطو بدراساته المعمقة لدراسة ظواهر اقتصادية متعددة هي من صميم علم الاجتماع الاقتصادي، **مثل**: الإنتاج - الاستبدال – التوزيع الاستهلاك ومعايير تقويم الأشياء - نظم النقد وأشكاله ووظيفته.

ثانياً: أرائه في الأسرة.

يعتبر أرسطو الأسرة هي أول اجتماع تدعو إليه الطبيعة تلقائيا.

وتتألف الأسرة من الزوج والزوجة والأولاد والأرقاء (العبيد)، وهذا هو النمط الاجتماعي السائد في عصره، ويعرف هذا النمط باسم: «نمط الأسرة الأبوية الكبيرة»

وقد كان سائداً في بلاد اليونان والرومان وعرب الجاهلية وكثير من الشعوب القديمة.

وتختلف عناصر الأسرة في مراكزها الاجتماعية فقد خلقت الطبيعة بعض الكائنات للسيطرة والسيادة وبعضها للخضوع والطاعة. فالكائن المزود بالعقل يحكم ويأمر بوصفه سيدا، والكائن المزود بالقوة العضلية ينفذ الأوامر. ويضع أرسطو الرجل على رأس الأسرة فهو سيدها ورئيسها والمدبر لكل شؤونها، أما المرأة فتليه في كل هذه الوظائف ويأتي ترتيبها بعده لأنها أقل عقلا وذكاءً.

ينتقد أرسطو أستاذه أفلاطون في تأييده للمساواة بين الجنسين وذلك لأنهما مختلفان جوهرياً. ويرى أرسطو أن وظيفة المرأة تشمل تربية الأولاد والعناية بشئون المنزل، ويرى الأولاد أنهم ثمرة السعادة الزوجية، أما الأرقاء أو الرقيق فهم أدوات حية تستعين بهم الأسرة للقيام بالأعمال الصعبة

كيف نظر أرسطو للمرأة؟

إن وظيفة المرأة عند أرسطو هي العناية بتربية الأبناء، وبالجوانب المنزلية، تحت إشراف وتوجيه وسيادة الرجل.

لكن لها حق إبداء الرأي وللرجل حق البت والحكم بعد تقليب النظر، وعليه تكون الأسرة كمملكة صغيرة يتربع الرجل على عرشها.

المرأة والأسرة بين أفلاطون وأرسطو (مقارنة)	
أفلاطون	أرسطو
• تأكيد المساواة الطبيعية بين الرجل والمرأة • القضاء على الأسرة	• المساواة بين الرجل والمرأة غير واقعية • تمجيد الأسرة

nadeel anafea

ويعلل أرسطو هذا التفاضل في المراكز الاجتماعية لعناصر الأسرة بربطها بعوامل وراثية وبيئية واجتماعية

ويرى ارسطو أن للرجل ثلاثة مظاهر للسلطة هي:

1. سلطة السيد: التي يمارسها على الرقيق ويمثلها بالسلطة الدكتاتورية
2. سلطة الأب: التي يمارسها على أبنائه وأبناء عشيرته ويمثلها بالسلطة الملكية
3. سلطة الزوج: التي يمارسها على زوجاته ويمثلها بالسلطة الجمهورية

كما يرى أرسطو أن دور الفرد الاجتماعي والأخلاقي يتحدد تبعا لإرادته. وبما أن:

للرجل كامل السيادة والإرادة، فدوره يتعين بزرع الفضائل في أفراد أسرته: لأن إرادة المرأة بدرجة أدنى ؛ والولد ليس له إلا إرادة ناقصة ؛ والعبد مجرد من الإرادة

فإذا صلحت الأسرة صلحت المدينة ، فالفرد الفاضل يكون في أسرة فاضلة والأسرة الفاضلة تكون في مجتمع فاضل،

ويعتبر أرسطو الزواج من أقوى دعائم التضامن بين وحدات المجتمع **لذلك فهو**:

- ينصح بنظام وحدانية الزوج والزوجة
- ويكره التعدد كما يكره الطلاق
- كما يحدد أرسطو السن الأنسب للزواج ما بين سن الـ18 للنساء وسن 37 للرجال
- عند وصول الرجل إلى سن الخمسين ينبغي أن يتوقف عن انجاب الأولاد حتى لا ينجب أطفال ضعيفة

وحول رعاية الأطفال

يقدم أرسطو نصائح للأمهات الحوامل كي يلتزمن باتباعها: مثل أن

1- يخففن من الغذاء 2- ويقمن بأعمال خفيفة،

3- ويعملن على إرضاع أطفالهن منذ الولادة، وتعويدهم على احتمال البرد.

4- كما يشدد على تنشئة الأطفال وتربيتهم على العادات الطيبة منذ الولادة.

لقد كان أرسطو من أنصار تحديد النسل وبالغ في دعوته لدرجة أنه أباح الإجهاض.

وفي ضوء آراء أرسطو في دراسته لشؤون الأسرة نجد أن كان له الفضل في التأسيس لما يعرف اليوم

بـ : «علم الاجتماع العائلي»

تماما كما وضع دعائم علم الاجتماع السياسي والاقتصادي

لقد عالج قضايا المجتمع بذهنية موضوعية وتحليلية وعقلية، فكان تارة يتحدث بأسلوب عالم الاجتماع، وتارة أخرى بأسلوب المصلح الاجتماعي.

ثالثاً: آرائه في التربية

التربية من الموضوعات الرئيسة التي عالجها أرسطو إكمالا لمبحثه في المجتمع.

hadeel alatea

فحيثما يكون نظام التربية مهملا تصاب الدولة بالانحلال، وكما نادى ارسطو بضرورة توحيد نظام التربية بين جميع الطبقات، ولابد أن يحظى الجميع على التربية المشتركة التي تضعه الدولة وتشرف عليه لتحقيق التضامن ووحدة الأهداف والآمال.

قسم أرسطو مراحل التربية وفقا لمراحل نمو الطفل:

1. المرحلة الأولى: التكوين الجسماني والبيولوجي.
2. المرحلة الثانية: نشأة القوة النزوعية والغضبية.
3. المرحلة الثالثة: نشأة النفس الناطقة.

يرى أرسطو أن لكل مرحلة من المراحل المشار إليها نظاما تربويا تتفق مع طبيعتها وقدرتها ولذا يقسم التربية إلى ثلاثة أقسام هي:

- التربية البدنية وتتمثل في تنمية الطفل جسمانيا وبدنياً.
- التربية الاخلاقية هي تربية الطفل على الفضيلة والأخلاق الجيدة وتعلمه قواعد اللغة والآداب والفنون.
- التربية العقلية تتمثل في اكساب الطفل العلوم والفلسفة.

يرى ارسطو أن التربية المنزلية منذ الولادة حتى 7 سنوات ثم تتولى الدولة تربية المواطنين من خلال مرحلتين:

1. المرحلة الأولى: من سن السابعة حتى سن البلوغ.
2. المرحلة الثانية: من البلوغ حتى سن الـ21.

وقد وضع أرسطو بعض الضوابط الاجتماعية لأصول التربية في المرحلتين الأساسيتين من التربية :

بأن نادى :

1) بضرورة تطبيق نظام مفتشي الأطفال الذين يتولون الإشراف على نظام التربية في نطاق توجيه أولياء الأمور وتقديم الوصايا والنصائح فيما يتعلق بمشكلات الطفولة الصحية والأخلاقية.
2) وكما لفت الأنظار إلى خطورة اختلاط الأطفال بالعبيد وأطفال السوء.
3) ونهى عن رؤية الصور المنافية للآداب.
4) أشار أرسطو عن شغل أوقات الفراغ.
5) وقال أن راحة الجسم والعقل ضرورية بعد العمل والتعب.

أما الموضوعات الأساسية التي تتناولها التربية في المرحلة الأولى [من السابعة إلى سن البلوغ] فهي أربعة:

الآداب

- ✓ وتشمل القراءة والكتابة والنحو
- ✓ والتربية الرياضية
- ✓ والموسيقى
- ✓ والرسم

ثم تخصص ثلاث سنوات للدراسات والعلوم التي تتفق مع النضج العقلي الذي وصل إليه الشبان

hadeel ahmed

رابعاً: نظريته في الرق

كان أرسطو يعتقد أن الأسرة في اليونان تتكون من الرجل والمرأة والأبناء والرق، فالبيت يقوم على أربع أركان (أب، أم، أبناء، الرق) وبالتالي هو ركن ثابت، فالرق موجود بالحضارات والأمم والثقافات والأديان.

الرق ضروري داخل المجتمع والبيت ، فهو نظام اجتماعي وله وظيفة اجتماعية داخل المجتمع اليوناني.

كيف قسم أرسطو المجتمع؟

- ❖ الأرقاء: وهم من غير اليونانيين أي البربر خلقهم الله جسما دون عقل لا يتمتع الرق بأي حقوق مدنية ، فهم كالآلات الحية، إنهم أدوات الأسرة خُلقوا من اجل خدمة الأحرار.
- ❖ الأحرار: وهم اليونانيون خلقهم الله و زودهم بالجسم والعقل يتمتعون بكافة الحقوق لهم الحق بشن الحرب بهدف استرقاء الشعوب الأخرى.

أرسطو كمفكر اجتماعي لم يخطئ في تقريره في نظام الرق لأنه مهمته كعالم اجتماع أن يدرس ويحلل النظم الاجتماعية ووظائفها ولذا تناول نظام الرق كنظام اجتماعي ضروري في جميع المجتمعات القديمة.

خامساً: آرائه في الحكومة الصالحة وقيام الثورات

فرق أرسطو بين الدولة والحكومة ، فالدولة في نظره هي مجموع المواطنين أما الحكومة هي التي تنظم شئون الدولة وتتولى الإشراف على الوظائف.

وتختلف الحكومة باختلاف أهدافها [الغاية] ونعنى بالغاية الحكومة صالحة أم فاسدة ، أما بالنسبة لا اختلاف عدد الحكام فيعني أن تكون الحكومة بيد فرد أو بعض الأفراد أو أيدى عامة.

وينتج عن الجمع بين المبدأين «الغاية وعدد الحكام» ستة أشكال لنظام الحكم، ثلاثة صالحة ويقابلها على الترتيب ثلاثة فاسدة وهم:

أشكال الحكومة الصالحة

- أولا: الحكومة الملكية (المونارشية) وهي حكومة الفرد العادل
- ثانيا: الحكومة الأرستقراطية هي حكومة الأقلية العادلة الفاضلة
- ثالثا: الحكومة الديمقراطية هي حكومة العامة وتمتاز بالحرية والمساواة

ويرى أرسطو أن أفضل الحكومات هي الملكية ويليها الأرستقراطية ثم حكومة الديمقراطية

أشكال الحكومات الفاسدة

الحكومات الفاسدة هي الحكومات السابقة عندما يتطرق إليها الفساد: فتصبح

- الأولى: استبدادية أوتوقراطية -الطغيان
- والثانية: أوليغاركية
- والثالثة: حكومة غير ديمقراطية. – الديماغوغية

ما السبيل لاختيار نظام صالح؟

يرى أرسطو أن الطبقة الدستورية التي تتألف من أصحاب الثروة هي أفضل للحكم

فهم لا يملكون فراغ ا طويلا من الجدل والمناقشات ولا يضيعون الوقت إلا في العمل المنتج، وهم أخيار المواطنين الذين يتحملوا أعباء الحكم وفقا للدستور الذى شرعوه عقلاء وحكماء المجتمع.

نظرياته في الثروات

يرى أرسطو أن ظاهرة الثورات ترجع إلى أسباب عميقة في طبيعة التنظيم السياسي والاقتصادي والاجتماعي في الدولة ومن هذه الأسباب:

1) سوء استغلال المبدأ الذي تقوم عليه الحكومة والإفراط في استخدامه وحتى تتجنب الدولة الاضطرابات السياسية فيجب أن تقلل من التطبيقات التعسفية لنظام حكمها
2) النمو غير المتناسب لبعض الطبقات في المدينة تؤدي إلى قيام الثورات
3) اختلاف الأصول والأنساب الناتج عن إقامة الأجانب في الدولة أدى إلى قيام الثورات
4) العامل المورفولوجي (الجغرافي) أو الوضع التخطيطي للمدينة
5) الحسد الاجتماعي كالطمع في الوصول إلى السيادة السياسية أو الثروة يؤدي إلى ظهور الثورات.

سادسا: نظريته في المدينة الفاضلة

يرى أرسطو أن المدينة هي أرقي صور الحياة السياسية ، كما يرى أن المدينة الفاضلة هي التي يستطيع فيها كل مواطن أن يحصل على السعادة ويضع شروطا يجب توافرها في قيام المدينة الفاضلة كما يلي:-

أولاً: لابد أن تكون مساحة المدينة متناسبة مع حاجة المواطنين. بحيث توفر لهم الحياة الميسورة. وأن تقسم أراضي المدينة بين المواطنين بحيث يكون لكل مواطن مساحتين من الأراضي: أرض في الداخل وأرض بالخارج ليكون لديه دوافع للدفاع عن المدينة.

ثانياً: التكوين المورفولوجي للمدينة ويجب أن تكون ذات تربة خصبة

وأن تكون لها تحصينات منيعة على الأعداء سهلة على المخارج على سكانها.

ثالثاً: يجب أن لا يتجاوز عدد السكان مئة ألف نسمة. حتى يتم العيش برخاء ورفاهية وتقدم فكري، وسهولة بالحكم، وانتشار النظام، وتوزيع المناصب. لابد من التوافق بين العدد والسعة، فلن يتحقق خير الدولة إلا إذا كان عدد مواطنيها مناسبا لمساحتها ورقعتها.

وإذا تجاوز عدد السكان هذا العدد فمن الضروري اتخاذ إجراءات تعسفية لاستبقاء العدد في المستوى المطلوب ومن هذه الإجراءات:

- الإجهاض
- إعدام ناقصي التكوين وفاسدي الأخلاق وهم المعوقين ، أصحاب العاهات يجب أن يعدموا ما داموا في المهد.
- تحريم الزواج على الشيوخ والعجزة وكل من يبلغ الخمسين من عمره.

رابعاً: أن يكون للدولة نظام طبقي يتكون من:

- القائمون بتوفير المواد الغذائية من التجار والصناع
- رجال الفن
- رجال الحرب
- طبقة الأغنياء التي تمد الدولة بالمال لتنفيذ المشروعات وإعداد الجيوش

hadeel alnafea

- رجال الدين
- الحكام ورجال القضاء والموظفون ويشرفون على تنظيم الجهاز الإداري، ولهؤلاء مع رجال الجيش الحق في صفة المواطن، الذي يشترك في الحكم والإدارة ووضع القوانين وسياسة المدينة.

خامساً وأخيراً: ضرورة وضع نظام تربوياً لتقديم النصائح والتوصيات للحصول على المواطن الحر وتعليمه الفضائل الأخلاقية والدينية.

الخاتمة

وأخيرا يمكن القول أن دراسات أرسطو كانت قائمة على الوصف والشرح والتحليل والمقارنة.

لقد تناول موضوع علم الاجتماع ومناهجه وأسس الدراسة فيه دون أن يسميها بدقة موضوعا لعلم الاجتماع، وبهذا يرجع الفضل إليه في التبشير بعلم الاجتماع.

وهكذا نشأت في اليونان تلك الآراء الاجتماعية التي بلغت أوجها عند الفيلسوفين أفلاطون وأرسطو.

hadeel alnatea

إنّنا ما نقوم به مراراً وتكراراً.

التميز إذاً هو ليس فعل نقوم به ؛ وإنما هو عادة.

أرسطو

من يهزم رغباته أشجع ممن يهزم أعداءه ؛ لأنه أصعب انتصار هو الانتصار على الذات لـِ "أرسطو"

المحاضرة الثامنة بعنوان

المدارس الفلسفية الممهدة لظهور علم الاجتماع

عناصر المحاضرة:

الفلسفة السياسية:

- نظريات التعاقد الاجتماعي (توماس هوبز- جون لوك- جاك روسو)
- فلسفة القانون (مونتسكيو)

أولاً: نظريات التعاقد الاجتماعي

في نهاية القرن السادس عشر أخذت الدول القومية في النشأة والتكوين. وأخذت النظرية القومية تحل محل نظرية الامبراطورية. وأخذت نظرية التوازن بين الدول المتعددة تحل محل نظرية التركيز أو التوحيد السياسي.

لقد أعطت هذه الظواهر السياسية الفرصة لظهور الملكيات القوية التي أصبحت مصدراً للسلطة والتشريع، غير أن بعض هذه الملكيات جنح إلى الاستبداد ، بينما ظل البعض الآخر يمارس حكماً مستنيراً؛ فكان من الطبيعي أن تقوم مساجلات سياسية حول منشأ السلطة في المجتمع.

ومن ثم ظهرت النظريات التي تناقش فلسفة الدولة:

في نشأتها وفي وظيفتها وفي حقوقها والتزاماتها قبل الدول الأخرى. وكان من الطبيعي أن يدرس الفلاسفة السياسيون أصل الاجتماع الإنساني وتطوره وغاياته كمقدمة لدراسة فلسفة الدولة.

يتردد مصطلح العقد الاجتماعي على امتداد تاريخ أدبيات الفكر الإنساني منذ القدم وفي عدّة مجالات مختلفة منه، ابتداءً من ظهوره في فلسفات (سقراط وأفلاطون 400 ق.م)، ومن ثمّ دراسته وبلورته بشكل "نظرية علمية" على يد بعض علماء الاجتماع أمثال (توماس هوبز 1588 – 1679 م) ، (جون لوك 1632 – 1704 م) و(جان جاك روسو 1712 – 1778 م) لتظهر في ما بعد ذلك انعكاساته كرمز محرّك لأحداث سياسية غيرت مجرى التاريخ مثل (الثورة الفرنسية 1789 م).

وكانت أولى النظريات الاجتماعية ظهوراً في هذا الميدان هي:

نظريات «التعاقد الاجتماعي» التي حمل لواءها الفيلسوفان الإنجليزيان «توماس هوبز» و «جون لوك» ثم بعد ذلك الفيلسوف الفرنسي «جان جاك روسو».

توماس هوبز: (1588 – 1679)

يعد توماس هوبز أحد أكبر مفكري القرن السابع عشر بإنجلترا وأكثرهم شهرة خصوصا في المجال القانوني.

إضافة لاشتغاله بالفلسفة والأخلاق والتاريخ، كان هوبز فقيهاً قانونياً، ساهم بشكل كبير في بلورة كثير من الأطروحات التي تميز بها هذا القرن على المستوى السياسي والحقوقي.

كما عرف بمساهمته في التأسيس لكثير من المفاهيم التي لعبت دورا كبيرا ليس فقط على مستوى النظرية السياسية بل كذلك على مستوى الفعل والتطبيق في كثير من البلدان وعلى رأسها مفهوم العقد الاجتماعي.

hadeel alnafea

واشتهر اليوم بكتابه في الفلسفة السياسية ، الذي وضع الأساس لمعظم الفلسفة السياسية الغربية من منظور نظرية العقد الاجتماعي.

- أشهر مؤلفاته: كتاب «العقد الاجتماعي»

في محاولة لدراسة نشوء المجتمعات الإنسانية، انطلق هوبز من السؤال التالي: لماذا يجب علينا أن نخضع للسلطة؟

وللإجابة على هذا السؤال، قام هوبز بوضع نفسه في مرحلة (ما قبل المجتمع) الافتراضية ومن ثمّ قارن بينها وبين الحالة (المجتمعية)، ليستنتج بعدها الأسباب التي دعت لنشوء تلك المجتمعات والمكاسب التي تحققت منها.

وجد هوبز أنّ الإنسان في مرحلة ما قبل المجتمع الحالة الأصلية تركز اهتمامه في "المصلحة الذاتية"، ومع وجود مصادر محدودة وغياب سلطة تجبر الأفراد على التعاون، استنتج أن الحياة في مثل هذه البيئة ستكون (صعبة التحمل) وقاسية جدا، بحيث يخشى كلّ فرد على حياته من الآخر، ولا يستطيع أحدهم ضمان تلبية حاجاته ورغباته لمدّة زمنية طويلة.

وعليه استنتج أن مرحلة (ما قبل المجتمع) الهمجية، تحوي أسوأ ظروف يمكن أن يعيشها الإنسان، مما يطرح وبقوة ضرورة تكون التجمعات البشرية والقوانين التي تحكمها.

رأى هوبز أن الطريق للخروج من الحالة السابقة يتم عبر الاتفاق على العيش تحت (قوانين مشتركة) والاتفاق على إيجاد (آلية لفرض القوانين) عن طريق سلطة حاكمة، ويرى هوبز بضرورة وجود "سلطة مطلقة" وإن ظهرت لديها انحرافات بسبب (غلبة العاطفة على المنطق) ولكنه تقبل ذلك، معللاً رأيه بأن (السّلطة هي الشيء الوحيد الذي يقف بيننا وبين العودة للهمجية).

كان هوبز نصيراً للملكية المستبدة فوضع فلسفته الاجتماعية في خدمة هذا النظام ومحاولة تبريره.

وكان مادي النزعة ، أنانياً، يعتبر الذات أو «الأنا» هي المحور الذي تدور حوله كافة الاعتبارات المتعلقة بالسياسة والاقتصاد وشؤون الاجتماع.

بمعنى أن هوبز يعتبر الفرد دعامة التشريع، والمصلحة الفردية هي الغاية من النظم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

وهذا ما يذهب إليه بصدد تفسير جميع النظم الاجتماعية من سياسية واقتصادية وأخلاقية. فإن هذه النظم تنتهي في آخر تحليلها إلى عوامل أنانية تعود على الفرد باللذة وتبعده عن الألم.

وفي ضوء هذه الاعتبارات، يرى هوبز أن أساس التعامل الاجتماعي هو الخوف المشترك بين الأفراد على مصالحهم الذاتية، لأن الأنانية والفردية هي الوازع الذي يدفع الإنسان إلى تحصيل أكثر ما يمكن تحصيله من الماديات.

وهذه حالة يخشى منها على بقاء المجتمع ودوام استقراره لأنه سيقع بين براثن الأنانية تتقاذفه من كل جانب.

وهذه هي حالة الفطرة التي مرت بها الإنسانية الأولى؛ كان الإنسان فيها ذئباً لأخيه الإنسان ويعتدي فيها القوي على الضعيف وينكل به.

ولما كان الأفراد لا يعرفون حدوداً لشهواتهم أصبحت حالة الفطرة هذه نزاعاً دائماً وحرباً مستمرة، وهي حالة لا تعرف العدل والظلم ولا تعرف الحق والواجب، وأهم خصائصها الشهوة والخديعة والقوة.

nadeel almatea

غير أن حالة كهذه من شأنها أن تتعارض مع مبدأ حب البقاء ولا يمكن أن تستمر إلى ما لا نهاية. ولما كان كل واحد حريصاً على تحقيق مصالحه الخاصة تولدت لدى الجميع ضرورة التعاقد والاتفاق على المصالح المشتركة وعدم التنافس، إلا في الحدود المطلوبة.

فلولا خوف الناس لما ظهرت فكرة التعاقد الاجتماعي التي كانت أحسن وسيلة من وسائل استقرار الحياة.

فالخوف هو إذن أساس التعاقد، والخضوع للعقد مرده خوف الناس بعضهم من بعض، والخوف المشترك هو أيضاً أساس القيام بالواجبات والالتزامات وتأدية الحقوق المفروضة.

فالإنسانية إذن لم تخرج من حالة الفطرة والفوضى ولم تنتقل إلى الحياة المدنية إلا عن طريق التعاقد، الذي بمقتضاه تنازل الأفراد (فرادى أو جماعات) عن جميع حقوقهم وصون أرواحهم وحفظ كيانهم.

وبذلك أصبح هذا الشخص هو الرئيس الأعلى للجماعة المنظمة وهو صاحب السيادة وكلمته هي القانون، وهو ما اصطلح الناس على تسميته بـ «الملك» فسلطة الملك إذن مشتقة من اتفاق رعاياه في أول الأمر. ووظيفته أن يرأس حكومة تسهر على تحقيق خير المواطنين الذين تعاقدوا معه، والعمل على توازن الميول الذاتية مع الميول الغيرية.

ولما كان هذا الشخص لا يمثل طرفاً في التعاقد فإنه يفعل ما يشاء دون حساب، وله أن يحكم حكماً مطلقاً، ولا يمكن للأفراد أن يسلبوه سلطته ما داموا قد منحوه إياها في بادئ الأمر.

ويعتبر الفرد الثائر على هذه السلطة المطلقة عاملاً على انحلال الجماعة ومتبرماً بالعقد وناكصاً للعهد الذي قطعه على نفسه.

ومن ثم فللجماعة الحق في أن تقصيه وتبتره. وهذه الفكرة تنطوي على معنى خطير وهو إنكار حق الفرد في المقاومة أو الثورة ولو كان الحاكم مستبداً.

<u>وخلاصة القول فيما ذهب إليه هوبز هو أن:</u>

الدولة أو المجتمع السياسي عبارة عن تكوين صناعي بمقتضى تعاقد إرادي لجأ إليه الأفراد رغبة منهم في الأمن والسلام وحب البقاء.

لم ينشأ هذا التعاقد تلقائياً ولكنه نشأ عن قصد وروية.

والنظم التي يصطلح عليها المجتمع عبارة عن مجموعة من القوانين تقررها الحكومة ويلتزم الأفراد بطاعتها لسبب واحد وهو أنها تحقق أنانية الفرد.

فالخير والشر الاجتماعي يمكن تعريفهما في مذهبه بأن الخير ما يجلب اللذة، والشر ما يجلب الألم.

وهما في نفس الوقت أمران تحددهما الحكومة.

والطاعة لهذه الحكومة المطلقة واجبة لأن أوامرها هي المستوى أو المعيار الذي يقاس به خير الناس وشرهم.

<u>تقييم آراء توماس هوبز: (1588 – 1679)</u>

لقد كان هوبز مناصرًا للملكية المطلقة ، ولكنه قام أيضًا بتطوير بعض أساسيات الفكر الليبرالي :الأوروبي: حق الفرد والمساواة الطبيعية بين جميع البشر والشخصية الاعتبارية للنظام السياسي (التي أدت لاحقًا إلى التمييز بين المجتمع

المدني والدولة)؛ وهو أيضًا صاحب رأي أن جميع القوى السياسية الشرعية يجب أن تكون "ممثلة" وقائمة على قبول الشعب؛ والتفسير الحر للقانون الذي يمنح الناس حرية فعل ما لم ينص القانون على تجريمه صراحةً.

لقد كان توماس هوبز أحد مؤسسي فلسفة السياسة الحديثة. ولقد ظل فهمه للبشر باعتبارهم مادة وحركة تنفذ نفس القوانين المادية مثل أية مادة وحركة أخرى ذات تأثير كبير؛ ويظل اعتباره للطبيعة البشرية باعتبارها تعاوناً مركزه الذات وللمجتمعات السياسية باعتبارها قائمة على "العقد الاجتماعي" أحد أهم الموضوعات في الفلسفة السياسية.

جون لوك (1632 – 1704 م)

جون لوك هو فيلسوف تجريبي ومفكر سياسي إنجليزي. وطبيباً ووزيراً للعدل.

لعب دوراً خطيراً في الأحداث السياسية العظيمة التي وقعت في إنجلترا ما بين سنة 1660 وسنة 1680.

كتب لوك في عام1667 مقالاً خاصاً عن «التسامح»، ومقالتين سياسيتين نشرتا في عام 1669 بعنوان "مقالتان عن الحكومة". وهاجر لوك إلى هولندا عام 1683 وهناك كتب لوك وضع مؤلفات أهمها: رسالة في الفهم الإنساني.

كان لجون لوك دور كبير في الثورة الأمريكية إذ أن كتابه:

"رسالتان في الحكم" كان محط إعجاب الأمريكيين وكانت من ضمن آرائه في الكتاب أن الوظيفة العليا للدولة هي حماية الثروة والحرية.

- أشهر مؤلفاته كتاب: - «رسالة في الفهم الإنساني» - «رسالة في التسامح»

جاء جون لوك بعد هوبز، وحدث في زمانه أن قام البرلمان الإنجليزي بثورته المعروفة عام 1668م فوضع «لوك» نظريته في التعاقد الاجتماعي.

وفيها ينتقد «لوك» مزاعم «هوبز» ويحاول أن يبرر الثورة السياسية التي تهدف إلى إقامة الحكم الديمقراطي. ومن ثم كان كتابه عن «الحكومة المدنية» ضرورة سياسية لإيجاد نظرية تبرز الأمر الواقع وتشيد بفضله. وكان يتضمن دفاعاً كبيراً عن ثورة عام1668 التي أقصت أسرة ستيوارت المستبدة عن العرش الإنجليزي.

ويختلف لوك عن هوبز في نقطتين مهمتين:

1. وصف حالة الفطرة
2. صيغة التعاقد

وفيما يتعلق بحالة الفطرة فقد اعترف «لوك» بوجودها على أنها حقيقة تاريخية بيد أنه لم يصورها بالصورة القائمة التي وصفها هوبز.

وكانت هذه الحالة تجري على أصول القانون الطبيعي. فهي وإن لم تكن منظمة بالقوانين المدنية والسياسية ليست خلواً من النظام على الإطلاق لأن للإنسان حقوقاً لا يخلقها المجتمع، ولكن الفرد يحصل عليها بمجرد ميلاده في الجماعة الإنسانية.

وفي هذه الحالة، الأفراد أحرار بالطبيعة ومتساوون بالطبيعة، وعلاقة كل منهم بالآخر علاقة كائن حر بكائن حر. أي أن لوك يعترف بوجود مجتمع طبيعي عاش الأفراد في ظله منذ فجر نشأتهم، وهذا المجتمع طبيعي أسبق بالوجود من المجتمع المدني أو السياسي، ويوجد كذلك قانون طبيعي أسبق وجوداً من القانون المدني أو الوضعي.

غير أن اشتباك المصالح وتعقد مستلزمات الحياة الاجتماعية، وعدم وجود رئيس غير متحيز يطبق بدقة قواعد القانون الطبيعي، دفعهم إلى الإيمان بضرورة قيام سلطة عليا وظيفتها إقامة العدل بينهم وتنظيم حريتهم التي يتمتعون بها لا في حالة الفطرة.

ومن ثم اصطلحوا على التعاقد بمقتضى عقد اجتماعي على حصر السلطة في شخص واحد أو بضعة أشخاص يمثلون المجتمع كله. ويجب أن ينص في الميثاق على أن هذا الشخص طرف في التعاقد لكي يلتزم باحترام نصوص العقد ويسهر على تنفيذها بدقة.

وفي مقابل ذلك يلتزم له الأفراد بالطاعة، والعقد لا يدوم إلا بدوام محافظة كل من الطرفين على تنفيذ تعهداته والوفاء بالتزاماته. وإذا قصر أحد الطرفين في التنفيذ أصبح الطرف الآخر في حل من التزاماته. وذلك على عكس ما ذهب إليه هوبز.

تقييم آراء جون لوك

استخدم لوك نفس المنهجية السابقة لهوبز، إلاّ أنه اختلف معه في كون الحالة الأصلية State of Nature مع انعدام القوانين فيها فأنها تحتوى على أسس أخلاقية، وبالتالي فهي (ممكنة التحمّل) ولها أمثلة واقعية، وليست" افتراضية "كما هو الحال عند هوبز.

كما اختلف لوك مع هوبز في معارضته لمبدأ "السلطة المطلقة"، ورأى أنّ الفرد له حقّ مقاومة السّلطة "الغاشمة"، انطلاقا من مبدأ الدفاع عن النفس.

إنّه أسهل بالنسبة للمدرس أن يأمر من أن يعلِّم "جون لوك"

جان جاك روسو (1712 – 1778)

جان جاك روسو هو كاتب وفيلسوف ومصلح اجتماعي، يعد من أهم كتاب عصر العقل، وهي فترة من التاريخ الأوروبي، امتدت من أواخر القرن السابع عشر إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلاديين.

ساعدت فلسفة روسو في تشكيل الأحداث السياسية، التي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية. حيث أثرت أعماله في التعليم والأدب والسياسة.

وُلد روسو في مدينة جنيف بسويسرا. وكانت أسرته من أصل فرنسي، وقد عاش في جنيف لمدة سبعين عاما تقريبا.

توفيت أمه عقب ولادته مباشرة، تاركة الطفل لينشأ في كنف والده، الذي عُرف بميله إلى الخصام والمشاجرة. اضطر والد روسو إلى الفرار من جنيف. فتولى عم الصبي مسؤولية تربيته.

- أشهر أعماله: كتاب «العقد الاجتماعي»

عارض روسو النظام الاجتماعي القائم الذي كان يشعر بالاستياء منه كثيرا، ما بين طبقة غنية تهتم بالبذخ والمظاهر والتفاخر، وطبقة كبيرة من الفقراء المعدمين، وقرر أن يمضي فيما بقي من حياته في بيان الاتجاهات الجديدة للتنمية الاجتماعية.

وخالف روسو سابقيه(هوبز ولوك)في افتراضهما كون في كون الحالة الأصلية State of Nature هي حالة مليئة بالمشاكل والظروف السيئة ,بل على العكس توقع روسو أن الناس كانوا في تلك الحالة يعيشون حالة اكتفاء ذاتي وسلام في ظلّ مبادئ أخلاقية.

يرى روسو أنّ التجمّع أتى نتيجة لعوامل اقتصادية مثل الاختراعات وتطور عوامل الإنتاج وتقسيم العمل، ممّا أنشأ قيماً "جماهيرية "جديدة ناتجة عن المقارنة مثل (الخجل والحسد والفخر..) وأهمّ هذه القيم في رأي روسو هي (الملكية الخاصة) التي نتجت عن ظهور قيم مثل(الجشع ,المنافسة ,عدم المساواة...) أخرجت البشرية من حالتها الأصلية «الطاهرة» .

وكنتيجة للملكية الخاصة انقسم الناس إلى أصحاب أملاك وإلى عمّال لديهم، مما أوجد نظام(الطبقات الاجتماعية)، أدرك أصحاب الأملاك أنّ من مصلحتهم إنشاء" حكومة" لتحمي ملكياتهم من الذين لا يمتلكونها ولكنهم يعتقدون أنهم قادرون على الاستيلاء عليها بالقوّة.

ومن ثمّ تمّ تأسيس الحكومة من خلال" عقد "ينصّ على توفير المساواة والحماية للجميع بلا استثناء، على الرغم من أن الغرض الحقيقي من إنشاء مثل هذه الحكومة هو تكريس "اللامساواة "والتي نتجت عن الملكية الخاصة، الشيء الذي يراه روسو السبب في معاناة المجتمعات الحديثة.

في الواقع أن نظريات التعاقد بلغت أقوى صورها وأدق مراحلها بفضل ما أسبغه عليها الفرنسي روسو من دقة في الصياغة وعمق في التحليل..وهذه الفكرة ملخصها : أن الحالة الطبيعية أو الاجتماع الطبيعي الذي نشأ في ظله الإنسان الأول كان أسعد حياة ، وأن التطور والتقدم هو الذي أفسد طبائع الأفراد وسبب شقاؤهم وأقام بينهم الفروق وأدى بهم إلى عدم التساوي، مع أن الطبيعة خلقتهم أحرارا.

وأول ظاهرة أدت إلى عدم التساوي هي اكتشاف فائدة الزراعة حيث نتج عنها حيازة الأراضي والتهافت على تقسيمها، وقيام الخلافات والمشاكل حول الحدود والمساقي وموارد المياه .ومن هنا بدأ التفاوت بين الأفراد .وكلما قطعت الإنسانية مرحلة في التطور والرقي ازدادت أسباب التفاوت بين الأفراد وقوى التنافس والتنابذ بينهم.

هذا يعني أن روسو أرجع جميع مظاهر الفساد إلى لأن هذه الظاهرة تتعارض « ظاهرة الملكية » قيام مع النظام الطبيعي، وقد أحدثت هذه الصيحة هزة عنيفة في المجتمع الأوربي.

ولكن إذا كان الإنسان سعيداً في حالته الطبيعية الأولى، وأن مظاهر الرقي الاجتماعي هي التي سببت شقاءه:

فالسؤال:

هل من الممكن القضاء على الحضارة وفض الاجتماع الإنساني المنظم والعودة إلى النظام الاجتماعي الأول؟؟؟

يقول روسو: «إن الاجتماع أصبح ضرورياً ولا يمكن بحال القضاء على ما استحدثه الاجتماع الإنساني من ضروب الحضارة والتمدين. وكل ما يمكن عمله هو إصلاح عيوبه والقضاء على مفاسده، وهذا غير ممكن إلا بالتنظيم السياسي وإقامة الحكم الصالح ».

وقد وجد الأفراد أن أفضل وسيلة تتيح لهم إصلاح هذه الحالة الفاسدة هي أن:

يتعاقدوا بمقتضى ميثاق اجتماعي .بحيث ينزل كل فرد عن جزء من حقوقه الشخصية للمجموع (لا لشخص معين أو بضعة أشخاص).

ووظيفة هذا التعاقد هي حماية مصالح المتعاقدين بواسطة القوة الجمعية فتتحقق بذلك المساواة بين الجميع وتصبح إرادة المجموع نافذة ,وبمعنى آخر تصبح الأمة كلها هي صاحبة السيادة والسلطان ,ويتخذ كل فرد لقب مواطن نظير اشتراكه في السلطة.

هذه هي أشهر نظريات التعاقد الاجتماعي .وهي جميعاً تتفق في بحث حقيقتين مهمتين:

الحقيقة الأولى مؤداها وجود حالة فطرية سابقة على الوجود أو التنظيم الاجتماعي.

والحقيقة الثانية مؤداها اتفاق الأفراد على تعاقد اجتماعي قصدوا إليه عن إرادة وروية ,وذلك للخروج من حالة الفطرة السابقة إلى حالة التنظيم السياسي والاجتماعي.

غير أن القائلين بهذه النظريات اختلفوا في وصف حالة الفطرة ، واختلفوا أيضاً في صيغة التعاقد ومحاولة تبريره.

واختلفوا كذلك في طبيعة التعاقد وحقيقته .فذهب بعضهم إلى أنه حدث تاريخياً وتحقق في واقع الأمر «هوبز ومدرسته» وذهب البعض الآخر «روسو ومدرسته» إلى أنه حالة افتراضية لا بد من تصورها لتبرير قيام المجتمع السياسي.

هذه النظريات لا تتفق مع طبيعة الحقائق الاجتماعية للأسباب الآتية:

1. من الخطأ البالغ التسليم بصحة ما يقوله أصحاب هذه النظريات من أن الاجتماع الإنساني وما ينطوي عليه من نظم سياسية ودينية وأخلاقية هو نتيجة عقد إرادي .وذلك لأن الحياة الاجتماعية نشأت تلقائياً والتنظيم السياسي قديم قدم هذه الحياة .فالقول أن الإنسان كان يعيش عيشة فطرية منعزلة بوقت ما وأنه تعاقد مع الآخرين لتنظيم الحياة هو قول فاسد ومغالط.

فالإنسان كائن اجتماعي منذ الولادة وهذا ما أكده أيضاً أرسطو بأن الطبيعة البشرية هي التي تدفع الإنسان تلقائياً نح الاجتماع السياسي.. وعليه فالدولة ليست مركباً صناعياً من عمل الأفراد وإرادتهم، بل هي من عمل الطبيعة وثمرة من ثمار التطور التاريخي، وبدأت تلقائياً.

2. إن منطق أصحاب التعاقد يشير إلى أن مستقبل الاجتماع الإنساني متعلق بمشيئة أفراده، وأنه مهدد بالنكوص إلى الوراء في أي وقت شاء له الأفراد ذلك.

وهذه أفكار فطرية ساذجة، لأن الاجتماع الإنساني نشأ تلقائياً ولم يقم على أساس فكرة التعاقد أو الاتفاق.

3. إن قيام التعاقد يتطلب بصفة أساسية قيام المساواة وتحققها أولاً.

فكيف يمكن تصور هذه المساواة في حالة الحرب والفوضى ومنطق القوة، التي يصف بها مفكري التعاقد الحالة الفطرية!!

4. لا يمكن تصور حدوث التعاقد الاجتماعي إلا إذا كان الاجتماع الإنساني قد وصل إلى حالة عقلية وثقافية يستطيع الأفراد بفضلها أن يدركوا معاني النظام والحق والواجب والإلزام والتعاقد وما إلى ذلك من التصورات القانونية والفلسفية التي تدل عل فهم الأمور والحقائق .وهذا تصور لا يستقيم مع وصف أنصار التعاقد للمجتمع من أنه في حالة فوضى وأنانية ونزعات بهيمية.
5. فكرة التعاقد في ذاتها هي فكرة غير صحيحة منطقياً، لأن فكرة العقد الملزم لا توجد إلا حيث توجد سلطة لها شخصية قانونية أو على الأقل لا توجد إلا في هيئة اجتماعية لها نوع من الإلزام الأخلاقي على أفرادها. بحيث تنظمهم وتفرض عليهم الرقابة وتعمل على صيانة العقود. فكيف يمكن للتعاقد أن يكون سبباً في نشأة هذه السلطة !!!
6. إن نظريات التعاقد الاجتماعي ليس لها سند تاريخي، ولس لدينا من الأدلة المادية والوثائق التاريخية ما يثبت قيام مثل هذا التعاقد.

وعليه يمكن القول أن نظريات التعاقد الاجتماعي لا تستطيع تفسير نشأة أصل الاجتماع الإنساني وقيام السلطة السياسية تفسيراً يطمئن له الباحثون. فقد ثبت لنا أنها عبارة عن تصورات خيالية وآراء شخصية تقوم على افتراضات تعوزها الأدلة المادية والتاريخية.

ومهما يكن من شأنها فقد خدمت البحث الاجتماعي خدمة كبيرة لأنها خلصت الأفكار الاجتماعية من أي تفسيرات وآراء دينية ذهب إليها مفكرو العصور الوسطى بصدد تفسير شئون المجتمع.فقدمت هذه النظريات أصولاً مهمة في ميدان البحث الاجتماعي والسياسي، من حيث تمهيدها للمقومات الضرورية للمذهب الفردي الذي يعتمد على الفرد كدعامة للتشريع الاقتصادي والسياسي .فكانت أساساً لمعظم النظريات والمذاهب السياسية السائدة كنظرية السيادة المطلقة ونظرية الاستبداد المستنير والنظرية الديمقراطية.

"الناس الذين يعرفون القليل يتحدثون كثيراً ، أما الذين يعرفون الكثير لا يتحدثون إلا قليلاً"

"أعطني قليلاً من الشرفاء وأنا أحطم لك جيشاً من اللصوص المفسدين والعملاء"

جان جاك روسو

فلسفة القانون: مونتسكيو (1689 – 1755)

شارل لوي دي سيكوندا الشهير باسم مونتسكيو هو فيلسوف ومفكر سياسي فرنسي صاحب نظرية فصل السلطات الذي تعتمده غالبية الأنظمة حاليا. ولد مونسكيو في جنوب غرب فرنسا بالقرب من مدينة بوردو حيث تعلّم الحقوق وأصبح عضو برلمان عام 1714.

عندما نقول فلسفة القانون يتحول التيار الفكري إلى بحوث العلامة الفرنسي منتسكيو، فهو الذي حمل لواء هذا الفكر ، ونظر إلى القانون بوصفه ضرورة تنشأ من طبيعة الاجتماع الإنساني.وبهذا قدم مونتسكيو للدراسات الاجتماعيه إسهاماً كبيراً تجلى في «الاجتماع التشريعي والقضائي».

- وكان من أهم أعماله كتابه الشهير: «روح القوانين»

كان مونتسكيو واقعياً في بحوثه ودراساته. لم يقتنع بالبحوث الخيالية والآراء التي أثارها سابقيه من أصحاب نظريات التعاقد الاجتماعي، فاتجه إلى دراسة شئون الاجتماع والظواهر السياسية بمنهج وصفي- تحليلي متجرداً من الأفكار الخيالية التي تفتقر إلى الأدلة.

لجأ مونتسكيو إلى دراسة القوانين الوضعية القائمة وأشكال الحكومات الموجودة ومظاهر السلطات التي تباشر عملها . فكان يصف ويقارن ويحلل ويستنتج الحقائق من طبائع الأشياء .وكان يرمي من وراء ذلك إلى هدفين أساسيين:

- أولهما :وضع نظم مقارنة تتفق مع الحاجات السياسية لمختلف المجتمعات.
- ثانيهما :وضع نظريات سياسية وقانونية مقارنة مستخلصة من نتائج دراساته وملاحظاته وتحليله للنظم الموجودة فعلاً.

وكانت بحوثه تدور حول فكرة اعتنقها وهي أن المشرع الذي يضع القوانين لا يعمل وفق إرادته وبمقتضى غرضه ولكنه محكوم بأمور خارجة عن ذاته هي التي تحدد طبيعة القوانين الموضوعة.

ويرجع مونتسكيو هذه العوامل إلى ثلاث طوائف وهي:

1. طائفة تتعلق بنظم الحكم وأشكال الحكومات التي تشرع القوانين في ظلها
2. طائفة تتعلق بالبيئة والموقع الجغرافي والمناخ ومساحة الدولة وعدد سكانها
3. طائفة تتعلق بالظواهر الاجتماعية السائدة كالدين والعادات والتقاليد وطرق العيش والتركيب الطبقي والثراء.

والكشف عن أثر هذه العوامل في القوانين الوضعية وعلاقتها به هم ما يسميه مونتسكيو بـ «روح القوانين». وعليه فقد قرر أن الغاية منها هي تنظيم علاقات الأفراد في الاجتماع الإنساني وحملهم على ما ينبغي أن يكون عليه الأمر في معاملاتهم الاجتماعية .لأنهم أحرار بطبيعتهم فلو تركوا وشأنهم لصدرت عنهم أعمال وتصرفات تتعارض مع حريتهم ومع مصالحهم الخاصة وتتعارض كذلك مع ما ينبغي أن تكون عليه الحياة الاجتماعية .فالقوانين ضرورية لتهذيب الاستعدادات الطبيعية المغروسة في الفطر الإنسانية.

كما درس مونتسكيو طائفة من الظواهر الاجتماعية المتعلقة بالبيئة والموقع الجغرافي، وقدم بحوثاً بالسكان والمورفولوجيا الاجتماعية وغالى في تقدير الفروق والآثار التي تترتب على هذه الأمور ومبلغ تأثيرها في النظم الاجتماعية بشكل يؤخذ عليه.

درس أيضاً ظاهرة الحرب من الناحية الاجتماعية ورغم أنه اعتبرها –على العكس من هوبز- حالة طبيعية تنشأ بين الدول، إلا أنه استنكرها واعتبرها ظاهرة غير سوية.. لأن الحرب كالاسترقاق هدر لكرامة الفرد وحريته. ويقرر مونتسكيو نوعين من الحروب ، ما كان منها بقصد الدفاع عن حق مسلوب، وما كان منها بقصد تنفيذ معاهدة قانونية بين دولتين. ويستنكر أنواع الحروب الأخرى.

كما درس مونتسكيو ظاهرة «المسئولية والجزاء» وأدان الإفراط في استخدام الشدة في الأحكام الجنائية التي من شأنها أن تنمي وتبعث الظلم بدلاً من التقليل من الجرائم. مشيراً إلى الدول الأوربية التي تقل بها العقوبات وحدة التشريعات الجنائية والجزاءات كلما تمتعت بالحريات.

وأخيراً لا بد من الإشارة إلى أن مونتسكيو درس ببحوثه المتنوعة قضايا تتعلق بالأخلاق والدين والاقتصاد تناول فيها نظم النقد والضرائب والسكان وغيرها دراسة تاريخية وصفية تحليلية معتمداً على الملاحظة والخبرة والمقارنة.

وخلصه من الصبغة « روح القوانين » ولو أحسن مونتسكيو ترتيب كتابه السياسية الغالبة عليه، لكان أول بحث منظم في الفلسفة الاجتماعية.

- وختاماً يمكن القول أن مونتسكيو رجع في تأليفه لكتاب روح القوانين إلى جانب مشاهداته ومحاوراته مع عدد لا يحصى من المفكرين إلى عدد ضخم من المؤلفات نخص بالذكر من بينها:-
  - كتابي الجمهورية والقوانين لأفلاطون.
  - السياسة لأرسطو.
  - الأمير لمكيافلي.
  - كتاب المدينة الفاضلة(يوتوبيا)لتوماس مور.
  - عن المواطن لهوبز.
  - بحث عن الحكومة والمدنية للوك.

المحاضرة التاسعة بعنوان

الدراسات الاجتماعية عند أوجست كونت 1798 – 1857 (فرنسي)

عناصر المحاضرة

- أولاً: ضرورة قيام علم الاجتماع.
- ثانياً: موضوع علم الاجتماع وأقسامه
- ثالثاً: أسس الدراسة ومنهج البحث في هذا العلم.

أوجست كونت (1798 – 1857)

- عالم اجتماع وفيلسوف اجتماعي فرنسي، وهو من أبرز مفكري القرن التاسع عشر الميلادي
- يعتبره الغرب منشأ علم الاجتماع في أوربا. فهو من أعطى علم الاجتماع الاسم الذي يعرف به الآن.
- ويعد هو نفسه الأب الشرعي والمؤسس للمذهب الوضعي
- تتلمذ على يد الفيلسوف الفرنسي سان سيمون، الذي كان لأفكاره أثر كبير على نظرياته التي عرضها فيما بعد في أهم مؤلفاته: "محاضرات في الفلسفة الوضعية" و "نظام في السياسة الوضعية".

ينسب إليه المؤرخون الفضل كل الفضل في إنشاء علم الاجتماع الحديث، هذا وقد أشرنا في فصول سابقة إلى أن ابن خلدون هو أول من أنشأ هذا العلم وأرسي قواعده وعالج مسائله، غير أن بحوثه لم يتح لها ما كانت تستحقه من الذيوع والانتشار فظلت في طي الكتمان قرونا طويلة، وكان لابد من الانتظار حتى مجيء "كونت" في القرن التاسع عشر ليعلن من جديد ضرورة قيام هذا العلم.

أول من صاغ مصطلح علم الاجتماع هو أوجست كونت في القرن التاسع عشر الميلادي.

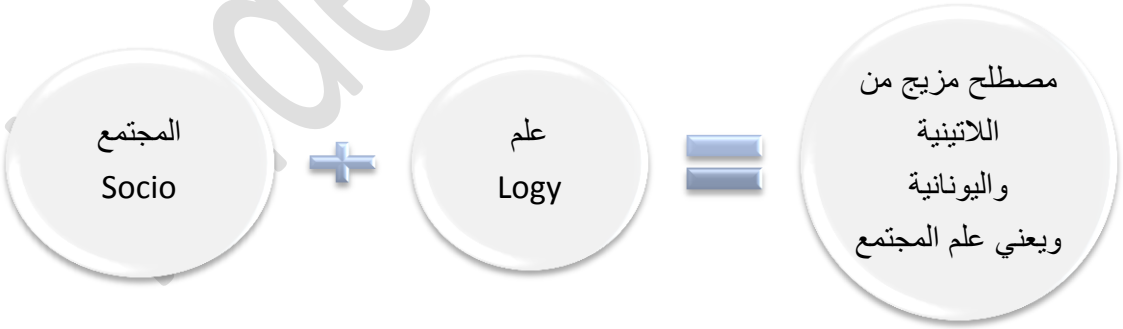

من أهم أعماله مقالة بعنوان: "نشرة عن الأعمال العلمية الضرورية لإعادة تنظيم المجتمع".

وقد أوضح في هذا المقال الذي مهد لقيام علم الاجتماع الحديث : قانونه الأساسي في طبيعة التفكير الإنساني؛ مشيراً إلى أن الفكر الإنساني يمر **بثلاثة مراحل عبر التاريخ**:

1. اللاهوتية (الثيولوجيا أو الخيالية)
2. الميتافيزيقية (المجردة)
3. الوضعية (العلمية)

أهم نظرياته

1. ضرورة قيام علم الاجتماع
2. موضوع علم الاجتماع
3. منهاج البحث في علم الاجتماع
4. نظرية التقدم الاجتماعي
5. نظرية كونت في الأسرة

من العوامل التي أثرت في كونت لإنشاء علم الاجتماع:

1. تفسير الظروف الاجتماعية السيئة والتغيرات الواسعة التي حدثت في المجتمع الفرنسي نتيجة للثورة الصناعية
- الأجور ومشكلات العمل

2. ظهور مشكلات اجتماعية متعددة نتيجة هذه الثورة مثل:
- انفصال الناس عن أسرهم لساعات طويلة
- سوء الأحوال السكنية

أولاً: ضرورة قيام علم الاجتماع

الضرورة التي جعلت "كونت" يميل إلى إنشاء علم الاجتماع **هي**: رغبته في إصلاح المجتمع وإنقاذه من مظاهر الفوضى الضارية.

وكان يرى أن أي تنظيم في هذه الشئون وما إليها لا يقدر له النجاح ولا يمكن تحقيق الغاية المرجوة منه إلا إذا سبقه تنظيم عقلي للآراء ومنهج للبحث وطرق التفكير.

لقد كان يرى أن الفلسفة ليست غاية في ذاتها ولكنها وسيلة للوصول إلى غايات عملية في شئون الاجتماع والأخلاق والسياسة والدين.

عندما وقعت الثورة الفرنسية، وبدأ المفكرون في وضع أسس الإصلاح الاجتماعي، اتخذ كونت من دوره كمصلح اجتماعي وسيلة لتأسيس علم جديد هو" علم الطبيعة الاجتماعية" الذي أطلق عليه فيما بعد" علم الاجتماع."

لقد تأثر أوجست كونت بالأحوال السياسية، والفكرية، التي سادت في عصره.

وقد شكل هذا أساسا لفلسفته الوضعية التي قامت في أساسها على دراسة الوقائع الاجتماعية دراسة علمية

فالمجتمع لكي يستقر ويتقدم ليس في حاجة إلى انسجام في المصالح المادية والمنافع المتبادلة فحسب، بل هو في حاجة إلى اتفاق عقلي.

لقد ألقى كونت نظرة مباشرة على المجتمع الذى عاش فيه فاتضح له الاضطراب العقلي الناشئ عن الاضطراب الخلقي، وهذا ناشئ بدوره عن الفوضى العقلية.

ولما كانت الحياة قائمة على دعائم من الأخلاق والمثل، فإن فساد هذه الدعائم وانهيارها، فساد للحياة وتقويض لأركانها.

ويخلص كونت إلى أنه لا سبيل للإصلاح الاجتماعي إلا بإصلاح الفكر الإنساني، وصلاحه يعني صلاح الأخلاق، وهذا بدوره يعني صلاح جميع فروع الحياة الاجتماعية.

hadeel alnatea

الفكرة إذن هي أساس النسق الاجتماعي .وهنا وجد كونت أن خلاص المجتمع من الفوضى العقلية يحتاج لفلسفة إصلاحية كوسيلة للوصول إلى غايات عملية في شئون المجتمع والأخلاق والسياسة .وبهذا المفهوم تعني الفلسفة علم الاجتماع.

إصلاح التفكير إذن هو أساس الإصلاح الأخلاقي والاجتماعي.

ولكن ما هي الفوضى العقلية التي يقصدها كونت؟

وجد كونت أن المجتمع الفرنسي يعاني اضطراباً شديداً في التفكير، وهذا الاضطراب ناشئ عن وجود أسلوبين متناقضين للتفكير وفهم الظواهر، **وهما**:

1. الأسلوب العلمي الوضعي الذي يتجه إليه الناس في عصره أثناء التفكير في الظواهر الكونية والطبيعية والبيولوجية.
2. أسلوب التفكير الديني الميتافيزيقي الذي يلجأون إليه عند التفكير في الظواهر التي تتعلق بالإنسان والمجتمع

وبمقتضى استمرار هذين الأسلوبين سوف يستمر الاضطراب الفكري الإنساني، بل وحدوث أقصى ما يمكن حدوثه من اضطراب في التفكير، إذ ليس بعد قبول النقيضين خلل في التفكير، ولا اضطراب في الفهم.

من هنا اطلق أوجست كونت على هذه الحالة اسم" الفوضى العقلية "ويصفها بأنها حالة من الفساد في الأخلاق والسلوك، وفساد شامل في الحياة.

لأن الفوضى العقلية هي التي أدت إلى فساد في الأخلاق والسلوك.

ولكن ما السلوك للقضاء على هذه الفوضى وهذا التناقض في أساليب التفكير؟

يعرض كونت في هذا الصدد ثلاثة حلول محتملة يمكن تصورها وهي:-

- أن نوفق بين التفكر الوضعي والتفكير الميتافيزيقي بحيث يوجدان معًا بدون تناقض.
- أن نجعل من المنهج البيولوجي الميتافيزيقي منهجًا عاملاً شاملاً تخضع له جميع العقول والعلوم ونصرف النظر عما وصل إليه التفكير الوضعي من حقائق علمية.
- أن نعمم المنهج الوضعي فنجعل منه منهجًا كليًا عامًا يشمل جميع ظواهر الكون، وبذلك نحقق مبدأ" وحدة المعرفة الوضعية".

أما الوسيلة الأولى فلا يمكن تحقيقها عملياً لأن المنهجين متناقضان تمام التناقض وتقدم أحدهما يستلزم ضرورة هدم الآخر.

فهناك اختلاف كبير بين المنهج الوضعي الذى يقوم على الملاحظة وتقرير طبائع الأشياء كما هي كائنة ، وبين المنهج الميتافيزيقي الذى يقوم على التأمل النظري والبحث المطلق.

كذلك هناك اختلاف كبير بين المنهج الوضعي الذى يدرس الحقائق الجزئية وعناصر الظواهر محاولاً الوصول إلى أسبابها المباشرة وبين المنهج الميتافيزيقي الذى يدرس الحقائق الكلية ويبحث في العلل الأولى.

وهناك اختلاف كبير بين المنهج الوضعي الذى يقوم على الإيمان بخضوع الظواهر لقوانين يمكن الكشف عنها وبين المذهب الميتافيزيقي الذى لا يؤمن بهذه الفكرة.

فالمنهج الأول نسبي والمنهج الثاني مطلق وغاية الأول كشف القوانين العلمية وغاية الثاني وضع

nadeel anafea

مبادئ فلسفية لا سبيل إلى تصورها وغني عن البيان أن منهجين هذا شأنهما لا نستطيع التوفيق بينهما، ولا يمكن اجتماعهما على صورة ما في أذهان الأفراد بدون إحداث اضطراب كبير في التفكير.

أما الوسيلة الثانية :وهى القضاء على الطريقة الوضعية وجعل الناس يفهمون الظواهر في ضوء الطريقة الدينية والميتافيزيقية .فهذا الحل قد يعيد إلينا الوحدة العقلية المنشودة.

ولكن هل يمكن تحقيقه عملياً؟

إن هذا الوضع الجديد يتطلب منا ضرورة القضاء على الحقائق الوضعية التي حصلنا عليها وأن نعود بالإنسانية حيث الدور الثيولوجي الميتافيزيقي.

ولكن كيف يمكننا أن ننكر على التاريخ تلك الانتصارات العلمية التي وصل إليها العقل الإنساني في المرحلة الوضعية؟

هل نستطيع أن ننكر اختراع الطباعة؟

وهل يمكننا أن ننكر أن كوبرنيك وجاليلو وديكارت وبيكون ونيوتن وغيرهم ممن اشتغلوا بالأبحاث الوضعية قد عاشوا ووصلوا إلى حقائق علمية وكان لهم تراث عقلي؟؟؟؟

<u>الاتجاه الثالث</u>

وهو أن نجعل التفكير الوضعي منهجاً كلياً عاماً ونقضى على ما بقي من مظاهر التفكير الميتافيزيقي

وهذا الاتجاه غير ممكن إلا إذا فهم الأفراد ظواهر الاجتماع على الطريقة العلمية ماعدا ظواهر المجتمع والإنسان ، ولا يمكن أن نجعل الناس يفهمون ظواهر المجتمع على أساس المنهج الوضعي <u>إلا إذا توافر شرطان</u>:-

- الشرط الأول: أن تكون هذه الظواهر خاضعة لقوانين ولا تسير وفق الأهواء والمصادفات.
- الشرط الثاني: أن يستطيع الأفراد الوقوف على هذه القوانين لكي يفهموا الظواهر وفق ما ترسمه قوانينها من حدود وأوضاع.

بالنسبة للشرط الأول فيرى "كونت" أنه متوفر في الظواهر الاجتماعية لأن المجتمع جزء من الطبيعة الكلية، وجميع نواحي هذه الطبيعة قد خضعت لقوانين ثابتة.

وبالنسبة للشرط الثاني وهو معرفة الناس لهذه القوانين فلا يمكن توفره إلا إذا كشف الباحثون عن هذه القوانين، ولا يمكن الكشف عنها إلا إذا قام علم جديد وظيفة دراسة ظواهر الاجتماع دراسة علمية وصفية تحليلية أي دراسة وضعية.

<u>باختصار</u>: ثلاثة حلول يناقشه كونت للتخلص من حالة الاضطراب العقلي الناجم عن أسلوب التفكير في المجتمع

1. التوفيق بين أسلوب كل من التفكير الوضعي والتفكير البيولوجي وبين الميتافيزيقي (وجد كونت أن هذا أمر متناقض أساساً)
2. تعميم استخدام المنهاج اللاهوتي الميتافيزيقي وإهمال ونبذ نتائج التفكير الوضعي (وقد رفضه كونت لأنه ينفي جميع الانتصارات العلمية على يد غاليلو ونيوتن)
3. تعميم التفكير بأسلوب المنهاج الوضعي في فهم جميع ظواهر الكون وتحقيق وحدة المعرفة الوضعية وهو الحل الأسمى برأيه لفهم ظواهر الاجتماع التي تخضع للقوانين

hadeel anafa

وقد سمي كونت علمه الجديد بعلم الطبيعة الاجتماعية ثم عاد فسماه علم الاجتماع، لأن علم الاجتماع في نظره يدرس كل الظواهر التي لم تدرسها العلوم الأخرى السابقة عليه .وقسم كونت موضوعات هذا العلم إلى شعبتين:-

- سمي الشعبة الأولى «الديناميك الاجتماعي» - وسمي الشعبة الثانية «الستاتيك الاجتماعي »

موضوع الشعبة الأولى دراسة قوانين الحركة الاجتماعية والسير الآلي للمجتمعات الإنسانية والكشف عن مدى التقدم الذى تخطوه الإنسانية في تطورها، أي أنه يدرس الاجتماع الإنساني في عمومه وفى جملته من ناحية تطوره، وانتقاله في كليته من حال إلى حال.

موضوع الشعبة الثانية دراسة المجتمعات الإنسانية في حالة استقرارها وباعتبارها ثابتة في فترة معينة من تاريخها، ويدرس كذلك الاجتماع الإنساني في تفاصيله وجزئياته لأن المجتمع يتمثل في عدة نظم وقواعد منها السياسي ومنها القضائي ومنها الاقتصادي ومنها الخلقي ومنها الديني.

شعبتا علم الاجتماع عند كونت هما:

- الاستاتيكا الاجتماعية دراسة المجتمعات الإنسانية وقواعد المجتمع وجميع النظم ووظيفتها بهدف الكشف عن القوانين التي تحكم التضامن والترابط بين النظم الاجتماعية.
- الديناميكا الاجتماعية دراسة قوانين الحركة الاجتماعية والسير الآلي للمجتمعات الإنسانية، والكشف عن مدى التقدم الإنساني.

✓ الاستاتيكا الاجتماعية تقوم على أساس فكرة "التضامن الاجتماعي"
✓ الديناميكا الاجتماعية تقوم على أساس فكرة "التطور والتقدم"

من أهم مؤلفاته الذي مكث فيه ست سنوات (1854 – 1848) ويتكون من أربعة أجزاء ، تناول فيه موضوعات متنوعة **أهمها**:

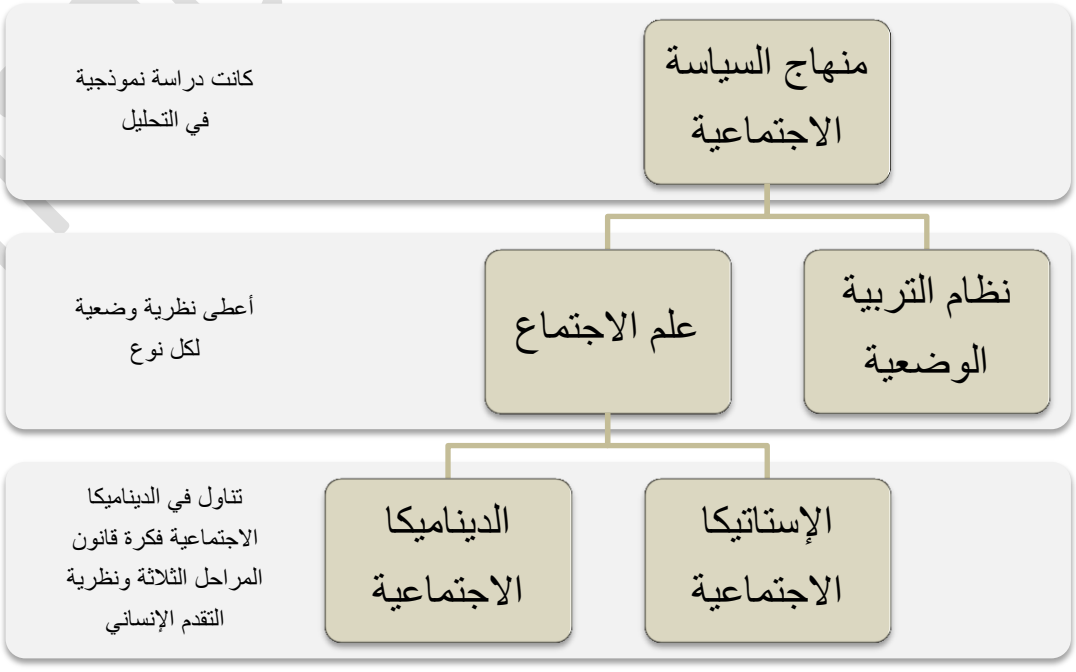

hodel anafea

أما في الاستاتيكا الاجتماعية أي علم الاجتماع في حالته الساكنة فقد تناول موضوعات متنوعة **أهمها**:

الاستاتيكا الاجتماعية (اللغة – الدين – الملكية – التنظيم – الطبقي – الأسرة)

ثانياً: أسس الدراسة ومنهج البحث

اتضح لنا أن كونت أنشأ علم الاجتماع لتحقيق عمومية التفكير الوضعي، والتفكير الوضعي ينطوي على تغيير شامل في أسس الدراسة التي تقوم عليها مناهج البحث في العلوم ويبدو هذا التغيير في النقط الآتية:-

1) أن ظواهر العلوم قبل أن تخضع للمنهج الوضعي كانت ترتبط بتدخل قوى خارقة للعادة ، أما فكرة القانون تحل محل هذه القوى التحكمية وأصبح الوصول إلى القانون العلمي هو المطلب الأول والمحور الأساسي الذى تدور عليه الدراسات والبحث.
2) كان التخيل أو التصوير الفلسفي هو العامل الأساسي الذى تقوم عليه المناهج القديمة ولكن الفلسفة الوضعية من مبادئها الجوهرية أن تخضع هذا التخيل للملاحظة.
3) لا تعطينا المناهج القديمة فكرة واضحة عن تحديد العلاقات بين مختلف الظواهر أما علم الاجتماع يهتم بدراسة العلاقات التي توجد بين مختلف الظواهر الاجتماعية.
4) تميل المناهج القديمة إلى المعاني المطلقة والمبادئ الكلية والعلل الأولى بينما الفلسفة الوضعية تهتم بتحديد معاني النسبية.

أسس الدراسة ومنهج البحث في هذا العلم

1. إخضاع الدراسة في هذه الظواهر للقانون الوضعي للوصول إلى القانون العلمي
2. إخضاع التخيل والتصور للملاحظة ونبذ التصورات الفلسفية للظواهر لكشف وسائل جديدة في البحث
3. تحديد العلاقات بين مختلف الظواهر الاجتماعية في ضوء المنهاج المجالي طبقا للقوانين العلمية
4. تضييق دائرة المعاني المطلقة والمبادئ الكلية لتحويلها إلى معان نسبية مفهومة بهذا اكتسبت العلوم والمناهج أدوات للبحث

أما فيما يتعلق بمنهج البحث في علم الاجتماع فيرى كونت أن هناك نوعين من البحوث التي تؤدى بنا إلى كشف الحقائق في ميدان الظواهر الاجتماعية أحدهما وسائل مباشرة والأخرى غير مباشرة.

أ) وسائل مباشرة : الخطوات المنهجية التي تشكل قواعد البحث العلمي، وهي الخطوات التي يستخدمها الباحث لكشف القوانين التي تخضع لها الظواهر الاجتماعية في نشأتها وتطورها ووظائفها.
ب) أما الوسائل غير المباشرة وهى في نظره ليست أقل أهمية أو ضرورة من الوسائل الأولى فتنتج منها العلاقات الضرورية التي تربط علم الاجتماع بما عداه من العلوم الوضعية الأخرى، لأن هذه العلوم تمده بصفة دائمة بنتائج وحقائق وقضايا لها أهميتها في ميدان البحث الاجتماعي.

hadeel alnafea

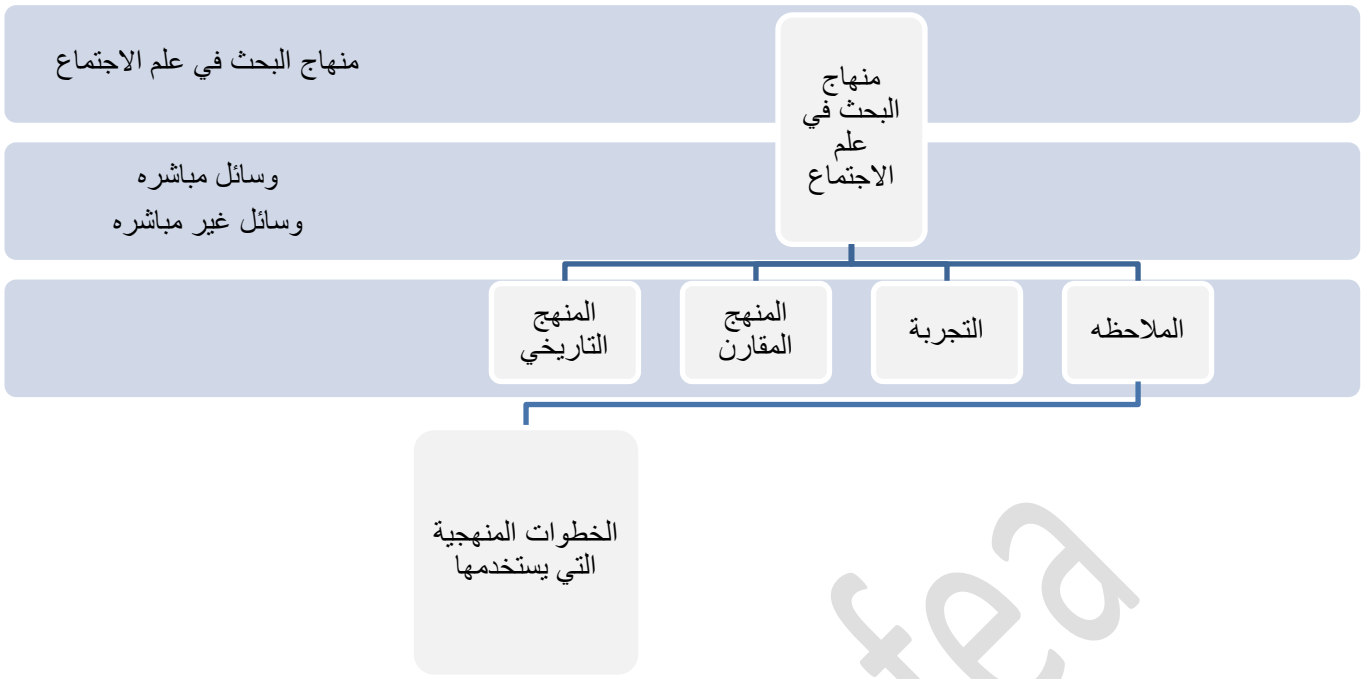

ما هي الوسائل إذن التي حددها أوجست كونت لتناول هذا المنهج؟ **إنها**:

- الملاحظة ، والتجربة ، والمنهج المقارن ، والمنهج التاريخي.

1) الملاحظة: هناك وسائل أخرى تساعدنا على الملاحظة الاجتماعية مثل دراسة العادات والتقاليد والآثار ومظاهر التراث الأخرى وتحليل ومقارنة اللغات والوقوف على الوثائق والسجلات التاريخية ودراسة التشريعات والنظم السياسية والاقتصادية وما إليها ، فلاشك أن هذه المصادر تقدم لعالم الاجتماع ونافعة ويقينية تساعد في الكشف العلمي.
ويرى كونت أنه من الإسراف البالغ الاعتماد على الملاحظة واتخاذها أسلوباً من أساليب الكشف العلمي بصدد قوانين الظواهر الاجتماعية ولا بأس من اعتبارها عاملاً مساعداً في سبيل هذا الكشف.

2) التجربة: يقصد كونت بالتجربة أي التجربة الاجتماعية وليست التجربة العلمية التي تلجأ إلى إجراءها بصدد ظواهر الطبيعة والكيمياء والبيولوجيا وذلك لأن مثل هذه التجارب الصناعية لا يمكن إجراؤها على ظواهر المجتمع.
والتجربة الاجتماعية الصحيحة في نظر كونت إنما تقوم على مقارنة ظاهرتين متشابهتين في كل شيء ومختلفتين في حالة واحدة واختلافهما يرجع إلى هذه الحالة الواحدة، فوجود مثل هذه الحالة الطبيعية إنما هو بمثابة تجربة مباشرة أننا نستطيع أن نستنتج بسهولة أثر هذا العامل الذى كان سببا في اختلاف الظاهرتين ومدى تأثيره في غيرهما من الظواهر الأخرى.
أما التجارب غير المباشرة وهى التي توجد في الحالات "الباثولوجي" أي الحالات المرضية التي تصيب جسم المجتمع لأن المجتمع شأنه في ذلك شأن جسم الإنسان عرضة للأمراض التي تنتابه من حين لأخر، هذه الأمراض تتمثل في الفتن والثورات والانقلابات، هذا إلى أن هذه الوسيلة غير مجدية وليست مواتيه في كل الظروف والمناسبات فليس على الباحثين من سبيل لكي ينتظروا وقوع حالات مرضية في المجتمع حتى يستطيعوا في ضوء بحثها الوصول إلى نتائج وتجارب في ميدان الكشف الاجتماعي.

3) المنهج المقارن: المقارنة الاجتماعية بالمعنى الصحيح تقوم في مقارنة المجتمعات الإنسانية بعضها ببعض للوقوف على أوجه الشبه وأوجه التباين بينهما ، وقد تتخذ المقارنة صورة أضيق من ذلك نطاقاً بمعني أنها تتناول مقارنة الطبقات أو الهيئات في نطاق شعب واحد أو مجتمع محدود.

hadeelalnafea

وقد تتخذ المقارنة صورة ثالثة أعم وأشمل من الصورتين السابقتين وهي مقارنة جميع المجتمعات إلى الإنسانية في عصر ما بالمجتمعات الإنسانية نفسها في عصر آخر، أي مقارنة الإنسانية ككل بالإنسانية ذاتها في مرحلة أخرى وذلك للوقوف على مبلغ التقدم الذى تخطوه الإنسانية في كل طور من أطوار تقدمها وارتقائها.
والمقارنة في مثل هذه الحالة تفقد موضوعتيها وتصبح قائمة على فكرة فلسفية مجردة تقترب إلى حد كبير من نظريات فلسفة التاريخ.

4) المنهج التاريخي: يعتبره كونت آخر حجر في بناء المنهج الوضعي ويسميه "بالمنهج السامي" ويقصد نه المنهج الذى يكتشف عن القوانين الأساسية التي تحكم التطور الاجتماعي للجنس البشرى باعتبار أن هذا الجنس وحدة واحدة تنتقل من مرحلة إلى أخرى أرقى منها ، وأقام كونت منهجه التاريخي على أساس قانونه الشهير "قانون الأدوار الثلاثة" وهو قانون يدعى أنه استخلصه من دراسة تاريخ الإنسانية دراسة علمية تحليلية ، والواقع أنه يعبر عن آراء فلسفية شخصية يؤمن بها كونت وحده ولا يعبر عن حقائق التاريخ ولا يصور مبلغ التطور الذى قطعته المجتمعات الإنسانية في تقدمها.
فكأن كونت لم يفهم من المنهج التاريخي ذلك المعني الذى نفهمه الآن من أن هذا المنهج يتطلب أن يقف الباحث على طبيعة الظاهرة وعناصرها وتطورها واختلاف أشكالها باختلاف الشعوب وباختلاف مراحل التطور وعلاقتها بما عداها من الظواهر الاجتماعية ، ولكنه فهم منه معني فلسفياً بعيداً عن طبائع الأمور ولا يمكن أن يؤدى به الكشف علمي محقق، ولاشك أن كونت قد أساء إلى منهجه بهذا الفهم الخاطئ وانحرف انحرافاً ظاهراً عن الخطة العلمية التي أراد أن يرسمها لدراسة ظواهر العمران دراسة وضعية.

<u>قواعد منهج البحث العلمي في علم الاجتماع</u>

- وسيلة الملاحظة: هي عنصر مساعد من عناصر البحث الاجتماعي تسهم في معاينة الوقائع وإدراك الخصائص ووضع الفروض العلمية وجمع المعلومات
- وسيلة المنهج المقارن: تقوم على مقارنة المجتمعات الإنسانية بعضها ببعض للوقوف على درجة تقدمها أو تخلفها
- وسيلة التجربة: ويقصد التجربة الاجتماعية حين يتم مقارنة ظاهرتين متشابهتين في كل المتغيرات ومختلفتين في متغير واحد، ويسميها كونت بالتجربة المباشرة
- وسيلة المنهج التاريخي: ويعتبرها كونت المنهاج الذي يكشف عن القوانين الأساسية التي تحكم التطور الاجتماعي للجنس البشري بمختلف المراحل، وربط وظيفة هذا المنهاج بقانونه

hadeel alhafed

المحاضرة العاشرة بعنوان

الدراسات الاجتماعية عند أجست كونت

الجزء (2) تتمة الفصل التاسع

عناصر المحاضرة

ثالثاً: بحوثه في الديناميك سوسيال.

رابعاً: بحوثه في الستاتيك سوسيال.

خامساً: فضل كونت على الفلسفة والدراسات الاجتماعية.

سادساً: نقد آرائه بصفة عامة.

ثالثاً: بحوثه في الديناميك سوسيال(الاجتماعي).

إن موضوع الديناميك هو دراسة قوانين الحركة الاجتماعية والسير الآلي للمجتمعات الإنسانية والكشف عن مدى التقدم الذى تخطوه الإنسانية في تطورها، وتدور بحوثه الديناميكية حول نظريتين أساسيتين فهناك نظريته في قانون الأدوار الثلاثة ونظريته في تقدم الإنسانية.

نظرية قانون الأدوار (الحالات) الثلاثة

- وخلاصته:

أن العقل الإنساني أو التفكير الإنساني قد انتقل في إدراكه لكل فرع من فروع المعرفة من الدور الثيولوجي (الديني اللاهوتي) إلى الدور الميتافيزيقي وأخيراً للدور الوضعي أو العلمي.

ويقصد كونت بالدور الثيولوجي (الديني) أن العقل كان يسير على أسلوب الفهم الديني وأنه كان يفسر الظواهر بنسبتها إلى قوى مشخصة مريدة خارجة عن الظاهرة نفسها كالآلهة والأرواح والشياطين وما إليها.

ويقصد بأسلوب الفهم الميتافيزيقي(التجريدي)أن العقل كان يفسر الظواهر بنسبتها إلى معان مجردة أو قوى ميتافيزيقية وعلل أولي لا يقوى على إثباتها ، ويقصد بأسلوب الفهم العلمي أن العقل يذهب في تفسيره للظواهر بنسبتها إلى القوانين التي تحكمها والأسباب المباشرة التي تؤثر فيها.

نظرية التقدم الإنساني (الاجتماعي)

سيراً اجتماعياً نحو « تقدم » يفهم كونت من معنى كلمة هدف معين لا يمكن الحصول اليه بعد المرور بأدوار ضرورية محددة، أي أن السير الاجتماعي لا بد أن يكون خاضعاً لقوانين.

يرى كونت أن انتقال الإنسانية من مرحلة إلى أخرى يكون مصحوباً عادة بتقدم أو تحسين يبدو في مظهرين: تقدم حالتنا الاجتماعية ، وتقدم في طبيعتنا الإنسانية ، ويسمى المظهر الأول بالتقدم المادي.

hadeel alnafea

وهو في نظره أوضح ظهوراً وأسرع حركة وأسهل حدوثاً وأقرب تحقيقاً .ويتوقف هذا التقدم على مقدار معرفتنا بقوانين الظواهر الاجتماعية والتدخل بفضلها لكي تحقق الإصلاح والتقدم المنشود ، وفيما يتعلق بالتقدم طبيعياً فإنه يبدو واضحا في الناحيتين الثيولوجية والعقلية.

فقد أدى التقدم الثيولوجي إلى زيادة عمر الإنسان أو تقدم القواعد الصحية وفن الطب ، وأدى التقدم العقلي إلى كشف وسائل جديدة للسيطرة على الطبيعة وتسخيرها لخدمات الإنسان، لأن العقل أو الذكاء عبارة عن آلة عامة يمكن استخدامها بصفة مطلقة في توسيع نطاق تدخل الإنسان وإشرافه على الكون ومظاهره.

ويقول كونت :أن المظهرين المشار إليهما لابد أن يسيرا جنباً إلى جنب لأن السعادة الإنسانية لا تعتمد فقط على تحقيق قدر من المنافع المادية المتعلقة بالوضع الاجتماعي للأفراد ولكنها تتطلب فوق ذلك ارتقاء واسع النطاق في المعايير العقلية والأخلاقية والجمالية، وما يتعلق بالحياة الاجتماعية.

رابعاً: الستاتيك سوسيال.

يقصد كونت بالستاتيك سوسيال دراسة المجتمعات الإنسانية في حالة استقرارها وباعتبارها ثابتة في فترة معينة من تاريخها ويدرس كذلك هذه المجتمعات في تفاصيلها وفي جزئياتها من حيث العناصر والنظم الاجتماعية ويرمي من وراء هذه الدراسة إلى الوقوف على القوانين التي تحكم تماسكها وتعمل على تضامنها.

ويبدأ كونت بحوثه بتحليل الضرورة الاجتماعية .حيث يعتبر حالة الاجتماع هي الحالة الطبيعية للإنسان .فالأفراد يولدون ومعهم غريزة ونيل فطري للعمل والتعاون مع الجماعة.

لذلك انتقد أوغست كونت نظريات التعاقد الاجتماعي.

لأنها تلبي الاحتياجات الإنسانية.

توصل كونت في تحليله الى أن المجتمع يتكون من ثلاثة عناصر: الفرد والدولة والعائلة

فالأسرة هي أول خلية في جسم التركيب الجمعي وهي ثمرة من ثمرات الحياة الاجتماعية، وقرر كونت مبدأ خضوع المرأة للرجل مع الاعتراف بسموها من الناحية العاطفية والوجدانية الضرورية للاستقرار في حياة الأسرة.

وتكلم عن الزواج واعتبره الأساس الأول لكل مجتمع، ولا يقبل فكرة الطلاق ويعتبرها من عوامل الإخلال بنظام الحياة الأسرية بصفة خاصة وحياة المجتمع بالإجماع ، ويعرف الأسرة بأنها اتحاد له طبيعة أخلاقية ، وأن الميل المتبادل بين الزوجين والعطف المتبادل بين الزوجين من جهة والأبناء من جهة أخرى.

والمشاركات الوجدانية الموجودة بين أفراد هذا المجتمع الصغير ، ثم تربية الأطفال والنزعة الدينية التي يغرسها الأبوان في أولادهم وللحقوق والواجبات المترتبة لكل عضو في الأسرة قبل العضو الأخر، كل هذه الأمور ترجع في طبيعتها إلى وظيفة الأسرة الأخلاقية.

وتطرق كونت إلى دراسة المجتمع فهو وحدة حية ومركب معقد أهم مظاهره التعاون والتضامن ، ويرى كونت أن مبدأ التعاون والتضامن هو الذى يسيطر على المجتمع ويحكمه ويسمى هذا المبدأ لدى المفكرين والمحدثين بمبدأ" تقسيم العمل وتوزيع الوظائف الاجتماعية."

ويرى كونت أن التضامن الاجتماعي لا يمكن أن يتحقق بصورة كاملة إلا إذا وجه المسئولون عنايتهم إلى إصلاح ثلاثة نظم اجتماعية أساسية وهى : نظام التربية والتعليم ، ونظام الأسرة ، والنظام السياسي في الدولة.

وبصدد إصلاح نظام التربية والتعليم يرى كونت أن المجتمع يحتاج إلى نظام من التربية الوضعية يحل محل دراسة الآداب والنظريات المجردة، ولقد قسم مراحل التعليم إلى ثلاثة وهى: مرحلة ابتدائية ومرحلة ثانوية ومرحلة عالية وظيفتها إعداد الشباب لمواجهة حياتهم العملية وتوجيههم إلى حل المشاكل الاجتماعية ، ونصح بضرورة فصل السياسة عن العلم بمعنى أن يكون الطلاب بعيدين عن الأحزاب السياسية.

وبصدد إصلاح النظام الأسري ، فالأسرة الصالحة هي التي تشبع أفرادها عواطف حب الغير والتراحم والتضامن الاجتماعي، واعتبر الأم هي المسئولة عن إعداد الأطفال في المرحلة الأولى ، ويأمل كونت أن الأمهات اللاتي تلقين تربية وضعية صحيحة يتمكن من تعليم أولادهن والإشراف على تربيتهم في المرحلة الإعدادية الأولى بدلاً من ذهابهم إلى المدارس.

وبصدد إصلاح النظام السياسي تعرض كونت لوظيفة الحكومة وحللها وقرر أن هذه الوظيفة ليست سهلة الأداء ومقصورة على تنظيم البوليس أو ضمان سلامة الشعب ونشر الأمن .والحكومة هي أول الوظائف الاجتماعية وأهمها، وهي دليل على مبلغ تقدم المجتمع وهذا التقدم مرهون بنظام الهيمنة.

ووظيفة الحكومة في نظره تقوم على تحقيق مبدأ التضامن في المجتمع والحرص على وحدته ، ومعنى ذلك أن وظيفتها لا تقتصر على المصالح المادية فحسب بل تشمل كذلك الناحية الروحية ، فكما تعمل على تحقيق التضامن المادي فكذلك التضامن الروحي عن طريق حفظ الدين ورعايته وغرسه في قلوب الأفراد وأخذهم في هذا الصدد بما يحفظ للمجتمع دوامه واستقراره.

ودرس كونت الناحية الاقتصادية في المجتمع فقد لاحظ أن السير الصناعي كان في اطراد دائم وزيادة مستمرة، وكان هذا النشاط سبباً في متاعب ، فدرس كونت صنوف الشقاق بين رؤوس الأموال والأيدي العاملة.

وعرض كونت للنظريات الاقتصادية السائدة ونقدها جميعاً ونادى بضرورة التدخل من جانب الحكومة لكي تقيم توازناً معقولاً بين الأهداف الفردية وبين ما ينبغي أن تكون عليه المعاملات الاجتماعية.

ودرس كونت الناحية الأخلاقية في المجتمع ورأى وجوب قيام علم وضعي هو" علم الأخلاق "، ويرى كونت أن علم الأخلاق الوضعي سواء من ناحيته النظرية أو العلمية لا يمكن أن يقوم إلا إذا تأسيس علم الاجتماع أولاً ، لأن هذا الأخير يغذي بمبادئه العامة ومادة بحثه ومنهجه والموضوعات الأساسية التي يعالجها.

أما الناحية الدينية في المجتمع فقد وضع لنا كونت بجانب النظم السابقة نظاما دينيا جديدا وهو الدين الوضعي ويدور هذا الدين حول عبارة الإنسانية كفكرة، أي أن فكرة الإنسانية تحل في نظره محل فكرة" الله "في الديانات الرواقية الرومانية المعروفة.

ورسم كونت لهذه الديانة طقوسا ونظما تناسبها ,ودعا جميع أفراد الجنس الإنساني أن يتجهوا إليها بالعبادة والتقديس.

ووظيفة هذه الديانة كما يراها كونت تحقيق وحدة دينية في العالم بأسره.

لأن جميع الأفراد سيتجهون بقلوبهم وعقولهم نحو فكرة واحدة ومركز واحد فيبطل الشرور والآثام وتنتقي المنازعات والحروب وتعيش الأجناس البشرية الثلاث: الجنس الأبيض والأصفر والأسود التي تمثل في الإنسانية الذكاء والعمل والعاطفة في عصر ديني ذهبي.

خامساً: فضل كونت على الفلسفة والدراسات الاجتماعية

سوف يتضح لنا ما يستحقه كونت من التقدير والاهتمام بمجرد عرض مبسط للنتائج الفلسفية والاجتماعية العامة التي انتهى إليها من دراساته الطويلة وبحوثه المفضلة.

وقد لخص كونت نفسه هذه النتائج في كتابه: "دروس في الفلسفة الوضعية "، أن أول نقطة جديرة بالتقدير في فلسفة كونت هي تطبيق منهج البحث الوضعي على الظواهر الاجتماعية.

والواقع أننا إذا كانت إلى الغاية التي قصد كونت الوصول إليها، فإنه من الصواب أن نقرر أن هذه الغاية هي «السياسة»

ولا أدل على ذلك من كتابه الثاني المعروف: «بالسياسة الوضعية»

ولكن إذا نظرنا إلى هذه الغاية في ذاتها من حيث هي وجدناها بالضرورة عبارة عن مجهود نظري فلسفي لأن خلق علم الاجتماع الوضعي كما شرحه كونت حقق الفكرة التي يسميها" كانت" (كلية التجربة)

وبدون الدخول في تفاصيل البحث فالمعروف أن محاولات كثيرة قد بذلت في سبيل تحقيق هذه الفكرة قبل كونت ولكن أصحاب هذه المحاولات كانوا يعتقدون أن هناك تمييزا جوهريا بين الفلسفة من ناحية وبين المعرفة العلمية من ناحية أخرى ولذلك باءت محاولتهم بالفشل.

ويرى كونت أن القوانين العقلية مثل غيرها من القوانين لا يمكن كشفها إلا عن طريق ملاحظة الظواهر والمنهج الوحيد الذى يليق بملاحظة الظواهر العقلية هو المنهج الاجتماعي بجميع أركانه لأن هذه الظواهر العقلية من طبيعة لا يمكن الوقوف عليها ولاسيما من الناحية الديناميكية إلا في تطور الإنسانية واستعراض هذا التطور ودراسته.

إن موقف كونت في تاريخ الفلسفة موقف جدير بكل تقدير وإعجاب لأنه لما رأى الفلسفة كما تصورها أصحابها حتى القرن التاسع عشر لا تستطيع أن تتكيف وتأخذ خواص العلم ، وانه حاول كثيرا كما تدل تعبيراته الخاصة أن يحول العلم إلى فلسفة .ولكن كيف يتم هذا التحول مع محافظة العلم على خواصه النوعية؟

إن هذا التحول إنما يقوم بكل بساطة في إعطاء العلم الخاصية الفلسفية الوحيدة التي لم تكن له من قبل وهي خاصية الكلية، فإن العلم باكتسابه خاصة جوهرية جديدة لا تجعله يفقد أية خاصة جوهرية من خواصه السابقة التي هي عبارة عن جوهرة وأساسه

ولكن يبدو للباحث المتعمق أن الذى يتحول ليس هو العلم ، لأن العلم يبقى كما هو كذلك بذاته مع إضافة خاصة العمومية والكلية إليه، فيصبح عاما بعد أن كان خاصا ولكن الفلسفة هي التي تفقد مركزها الممتاز لأن العلم سوف يشاركها في عموميتها وكليتها.

ويقصد كونت من ذلك أن منهجه وفلسفته سوف تغنى عن هذه النظريات في المستقبل وسوف تؤدى الوظائف العقلية التي كانت تؤديها النظريات الفلسفية الميتافيزيقية.

إن كونت اكتشف علم الاجتماع لأن هذا العلم عمم المنهج الوضعي الذى أصبح ممتداً إلى آخر مظهر من مظاهر الظواهر الكونية ، ومتى تم تكوين هذا العلم فإنه يكتسب صفة العلم الكلي ومن ثم صفة الفلسفة

فمن ناحية ترتيب العلوم نجد أن علم الاجتماع هو سادس علم وآخر العلوم الأساسية ، ومن جهة أخرى فهو العلم الوحيد من حيث أن العلوم الأخرى يمكن اعتبارها ظواهر اجتماعية كبري ، فهو يتضمن حقائق العلوم السابقة عليه لأن هذه العلوم تمهد له وتؤدي إليه.

على هذا النحو يمكن تحويل العلم إلى فلسفة ، ويمكننا الآن أن نبحث علاقة فلسفة كونت الوضعية بما عداها من الفلسفات التي سبقتها أو المعاصرة لها ، وموقفها إزاء هذه الفلسفات.

أن كل نظرية فلسفية جديدة لابد لها أن تحقق هدفين أساسيين:-

1. أن تضع أصولها ومبادئها الأساسية.

2. أن تبحث وتناقش النظريات السابقة والمعاصرة لها.

ولهذا السبب فإن الفلسفة الوضعية هي الفلسفة الوحيدة التي كانت عادلة جداً في نقد النظريات المعارضة لها سواء كانت سابقة عليها أو معاصرة لها.

أن هذه الفلسفة لم تنتقد الماضي كله والحاضر ولم تعلن الحرب على النظريات السابقة عليها بل بالعكس ، لقد وضعت كل النظريات في مكانها في التاريخ العام لتطور التفكير الإنساني ، وقد وضعت نفسها في مكانها في هذا التاريخ غير أن الفلسفة الوضعية تعتبر نفسها وريثة جميع الفلسفات وعلى الأخص الفلسفات التي تتعارض معها في المبدأ.

ولقد كان لحلول الفلسفة الوضعية محل الفلسفة الميتافيزيقية اثر واضح في تكييف النظريات الفلسفية ، فإنها تغيرت من وجهة النظر الميتافيزيقية إلى وجهة النظر الوضعية ، وكان لهذا الإحلال أيضا أثره في المعاني والمصطلحات الفلسفية التي تغيرت مضامينها من الأسلوب الميتافيزيقي المطلق إلى الأسلوب الوضعي النسبي.

فمثلا إذا كانت الفلسفة الميتافيزيقية تميز بين فكرتي القوة والفعل، فإن الفلسفة الوضعية أصبحت تميز بين وجهتي النظر الاستاتيكية والديناميكية ، وإذا كانت الفلسفة الميتافيزيقية تفترض مبدأ الغائبة أو القضاء والقدر فإن الفلسفة الوضعية أصبحت تفترض فكرة جديدة عبرت عنها بمبدأ شروط الوجود.

وإذا كانت الفلسفة الميتافيزيقية تخضع العالم لقوى خارقة مطلقة فإن الفلسفة الوضعية تخضع الإنسانية في تطورها لقانون عام.

<u>سادساً: نقد كونت</u>

هناك الكثير من المآخذ والانتقادات التي سجلت على فلسفة كونت الاجتماعية ويمكن أن نجملها في النقط الآتية:-

1. يبدو أن الأسباب التي دعته إلى إنشاء علم الاجتماع أسباب خيالية من وحى تفكيره الخاص ولا تمت بصلة إلى حقائق الأمور، فليس بصحيح كما يزعم أن جميع الناس في عهده كانوا يفهمون ظواهر الطبيعية فهماً علمياً وضعياً لأن هذا الأسلوب من الفهم كان ولا يزال مقصوراً على المستنيرين من الناس الذين أتيح لهم أن يسيغوا مسائل العلوم وليس بصحيح كما يزعم أن جميع الناس في عهده كانوا يفهمون ظواهر الاجتماع فهماً غير وضعي ، فكثير من هذه الظواهر كان موضوعاً للدراسة العلمية وتوصل الباحثون بصدد هذه الظواهر إلى كشف القوانين العلمية.
2. نبه كونت إلى قواعد منهجية لها قيمتها العلمية غير أنه لم يلتزم بهذه القواعد في دراسة موضوعات العلم ، فانحرفت انحرافا ظاهرا ولذلك وصل إلى قوانين فلسفية شخصية بدلا من أن يصل إلى قوانين مستخلصة من طبائع الأشياء.
3. فيما يتعلق <u>بقانون الأدوار الثلاثة</u> نجد أن كونت درس الإنسانية بوصفها كلاً لا يتجزأ مع أن الشيء الملاحظ هو وجود مجتمعات جزئية مختلفة فليست هناك إنسانية ولكن هناك مجتمعات إنسانية ، وليس كما يزعم في قانونه : أن الإنسانية تسير كلها على وتيرة واحدة في فهم الأشياء، وليس بصحيح كما يزعم أيضا أن العقل الإنساني قد سلك في فهمه للظواهر الطرق الثلاث مرتبة على الصورة التي ذكرها

فقد فهم الأقدمون كثيرا من الحقائق الرياضية والفلكية فهما وضعيا قبل ظواهر العلوم الأخرى ، ولا تزال بعض المجتمعات تفسر الحقائق العلمية في نظرنا تفسيراً دينياً وبعضها يفسرها تفسيرا ميتافيزيقيا مع أن هذه وتلك في مرحلة تاريخية واحدة.

4. يرجع كونت تطور الظواهر الاجتماعية إلى تطور التفكير مع أن تطور شئون المجتمع ينجم عن عوامل كثيرة تتفاعل آثارها وتتحدد نتائجها ، وتطور التفكير ذاته ليس إلا مظهرا من مظاهر تطور المجتمع ولا يعتبر هو نفسه سببا لهذا التطور.
5. انتهى كونت من دراسة" الستاتيك سوسيال "إلى قانون التضامن وملخص هذا القانون أن مظاهر الحياة الاجتماعية يتضامن بعضها مع بعض ، كذلك نظم المجتمع وعناصره تعمل متضامنة لتحقيق استقرار الحياة الاجتماعية ودوام بقائها.

على انه لم يدرس الفكرة موضوعيا ولم يرجع بصددها إلى التاريخ أو إلى التحليل المادي.

لم يجعل كونت لها سندا من التاريخ أي انه لم يدرسها دراسة علمية ولم يحللها تحليلا ماديا هذا إلى أنها بالصورة التي عرضها تتناقض مع بعض أجزاء فلسفته.

6. وضع كونت دينا جديدا هو الدين الوضعي أو عبادة الإنسانية .والدين شأنه كشأن أي نظام اجتماعي لا يوضع وضعا ولا يتفق علية الأفراد إداريا ولكنه ينشأ تلقائيا من طبيعة الحياة الاجتماعية ووفقا لرغبات العقل الجمعي.

والعجيب أن كونت ينتهي من تحليل فكرة الإنسانية وتحديدها إلى القول بأن الإنسانية الحق إنما تتمثل في مجموعة من الأبطال والعظماء والعقلاء الذين برزوا في تاريخ الإنسانية ويستحقون التكريم بفضل ما أدوه من أعمال التقدير والإعجاب.

أي أن الدين الوضعي ينتهي في أخر تحليله إلى: "إحياء ذكرى الرجال العظماء والفلاسفة الذين أدوا أعمالا جليلة وخدمات لا تقدر للجنس الإنساني".

وغنى عن البيان أن الاتجاه بالعبادة والتقديس إلى طائفة من بنى الإنسان فكرة غريبة في حد ذاتها ولا يجد كونت مؤيدين له في قبولها والإيمان بها، والواقع أن كونت كان بعيداً عن الاجتماع الديني في تقرير ذلك .فقد أغرق في تصورات الدينية وملأ صدره بآمال صوفية لا سبيل الى تحقيقها .ولم يستطيع أن يقيم الوحدة الدينية التي كان ينشدها من وراء دينه الوضعي، فلم تتجه الأجناس الثلاثة (الأبيض والأصفر والأسود التي تمثل الذكاء والعمل والعاطفة) بالعبادة والتقديس إلى محراب واحد ، ولم تقصد إلى كعبة واحدة وندين بدين مشترك.

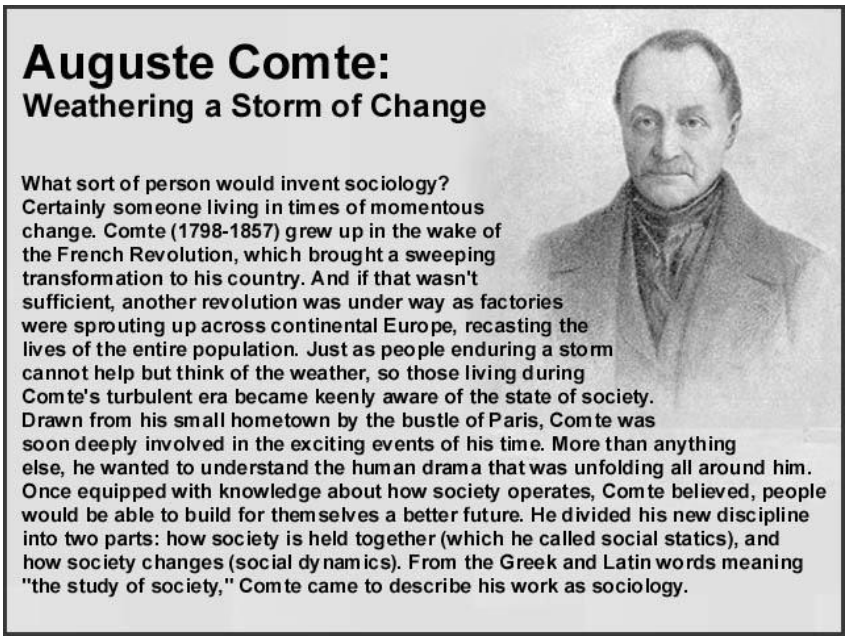

hadeel amara

المحاضرة الحادية عشر بعنوان

الفلسفة الاجتماعية عند أميل دوركايم

عناصر المحاضرة

أولاً:

- أهمية ومكانة ايميل دوركايم
- مؤلفات دوركايم
- الظاهرة الاجتماعية
- صفات الظاهرة الاجتماعية

ثانياً: تبويب الدراسات الاجتماعية وتحديد فروعها

أهمية ومكانة ايميل دوركايم

دوركايم (1858 – 1917)

زعيم المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع ومنشئ علم الاجتماع الحديث وأحد دعائم الحركة العلمية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين

سيرته الأكاديمية

- اهتم بالدراسات الاجتماعية، ولا سيما بعد بعثته إلى ألمانيا.
- وقد تتلمذ على أقطاب مفكريها أمثال: " فاجنر، شولر، وفونت"؛ فدرس الاقتصاد والفلكلور والأنثروبولوجيا الثقافية وبعض الموضوعات الاجتماعية.
- وأدت كتاباته في الفلسفة الاجتماعية إلى ذيوع شهرته.
- وعليه فقد كلف بتدريس علمي الاجتماع والتربية بجامعة بوردو.
- يعود إليه الفضل في إنشاء كرسي علم الاجتماع بجامعة بوردو
- حيث شغل منصب أستاذ علم الاجتماع بجدارة في جامعة بوردو.
- كما شغل نفس الكرسي في جامعة السوربون منذ سنة 1906 إلى وقت وفاته سنة 1917 .

سمات تفكيره

•كان دوركهايم يكره التأملات الفلسفية العقيمة ، وكان يهتم بالعلم لأجل العلم فقط ولذلك ابتغى أن يجعل من علم الاجتماع علمًا يسلّط الضوء على آفات المجتمع ويستعان به لحلّ بعض مشكلاته عن طريق تحسين العلاقات بين الفرد المجتمع .فلذلك أولى عناية كبرى للمشاكل التربوية.

•برأي دوركايم :أن التربية تلعب دورًا أساسياً في اندماج الفرد في المجتمع.

hadeel alnafea

•قد تفسر لنا هذه التصورات اهتمام دوركايم بمشاكل زمنه إذ أن اثنين من أهم كتبه تتناول الاضطرابات الاجتماعية المتولدة عن التصنيع المفاجئ والكثيف الذي انتاب مجتمعات عصره .وقد وضع لهذا العلم منهجية مستقلة تقوم على النظرية والتجريب في آن معا.

•حين عُيّن دوركايم أستاذا بجامعة بوردو عام 1887 م قام بإلقاء محاضرات قيمة في التربية الأخلاقية، فظهر في ذلك الوقت اهتمامه بدراسة المجتمع، حيث قدم فصلا دراسيا في علم الاجتماع يعتبر الأول من نوعه في فرنسا، فاثأر جدلا كبير بين العلماء المهتمين بدراسة المجتمع .ووضح في دراسته تأثره بآراء أوجست كونت، وتطويره للمذهب الوضعي والنظرة العضوية إلى المجتمع التي ابتدأها أوجست كونت.

مؤلفات دوركايم

•ترك دوركهايم مؤلفات وبحوث كثيرة نشر بعضها في حياته ونشر أتباعه البعض الآخر بعد وفاته.

ما هي أبرز وأهم مؤلفات دوركهايم؟

•المؤلفات التي نشرها في حياته يمكن ترتيب ظهورها كما يلي:

أهم أعمال دوركايم

- تقسيم العمل الاجتماعي (1893م)
- قواعد المنهج الاجتماعي (1895م)
- الانتحار دراسة اجتماعية (1896م)
- الأشكال الأولى للحياة الدينية (1912م)

أصدر سنة 1896 مجلته الاجتماعية المعروفة باسم السنة الاجتماعية أو التقويم الاجتماعي؛ كانت مصدراً للفكر السوسيولوجي لسنوات عديدة في فرنسا واستمر يصدرها حتى قيام الحرب العالمية الأولى سنة (1914م). حيث استأنف أتباعه نشرها منذ عام 1925 م.

نشر دوركايم في هذه المجلة بحوثا اجتماعية عديدة تناولت موضوعات مهمة أبرزها (طبقات المحارم في الزواج - الظواهر الدينية – التوعية – التصنيف - نظم الزواج في مجتمعات أسترالية – الطوطمية)

مؤلفات نشرت بعد وفاة دوركايم

أما مؤلفاته التي نشرها أتباعه فهي:

- التربية وعلم الاجتماع (1922م)
- علم الاجتماع والفلسفة (1923م)
- التربية الأخلاقية (1925م)
- كتاب الاشتراكية (1928م)

<u>الظاهرة الاجتماعية</u>

يبدأ " إميل دور كايم " بضرب أمثلة لهذه الظواهر فيقول: نجد في كل مجتمع إنساني مهما كانت درجة رقيه أن الأفراد يسيرون في مختلف شئون حياتهم وفى مختلف فروعها على أساليب خاصة وقواعد وأوضاع لا يحيدون عنها.

ففي حياتهم الدينية نجدهم يتفقون على أمور عامة فيما يتعلق بطقوسهم وشعائرهم المقدسة وواجباتهم تجاه هذه العبادات.

hadeel alnafea

وفى حياتهم الأسرية نجدهم يسيرون فيما يتعلق بنظم الزواج والطلاق والقرابة والمصاهرة والعلاقات الجنسية وتقرير الحقوق والواجبات لكل فرد، نجدهم يسيرون على أساليب وقوالب لا يحيدون عنها ومن يخرج عما نرسمه من حدود يقابل في هذا الصدد بقوة وعنف.

وفيما يتعلق بشئونهم الاقتصادية نجدهم يسيرون على وتيرة واحدة فيما يتعلق بطرق التبادل والإنتاج وتقدير قيم الأشياء، وفي صياغة العقود والوفاء بما تنطوي عليه من التزامات.

نجدهم في هذه الأمور وما إليها مقيدين بأوضاع معينة ولا يخرجون عن حدودها.

وفيما يتعلق بحياتهم السياسية نراهم يخضعون لنظم مستقرة وقواعد مقننة تتعلق بقيام الحكومات وتعاقبها وتقسيم مظاهر السلطة وعلاقة الفرد بالحكومة.

وعلى هذا النحو فيما يتعلق بحياتهم الخلقية والقضائية واللغوية والتربوية والفنية ، كل هذه الأساليب والقواعد والأوضاع والتي يسير عليها الأفراد في مختلف شئونهم تسمى بالظواهر الاجتماعية.

وبعيداً عن هذه النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأسرية والدينية والأخلاقية بوصفها نظماً تامة التكوين، نلاحظ وجود بعض التيارات والاتجاهات التي تنشأ في جو المجتمع والتي تعتبر أيضاً اجتماعية ، ولا يستطيع الأفراد الخروج عما تفرضه عليهم من حدود والتزامات.

هذه الاتجاهات تنشأ عادة من احتكاك أفكار الأفراد في المجتمع ومن اتصال وجدانهم وتفاعل مشاعرهم واتحاد رغباتهم وميولهم ، وما يحيط بهم من ظروف طبيعية واجتماعية.

وينطبق هذا الوصف على الظواهر المادية في المجتمع المتعلقة بالتركيب المورفولوجي.

وهذه الأمور تتناول قيام المدن ونشأتها واختيار مواقعه وتخطيط القرى وتوزيع أفرادها على المساحة ، والتخلخل والكثافة السكانية وانتقال بعض عناصر المجتمع من مكان إلى آخر كالهجرة من القرى إلى المدن وبالعكس.

فالملاحظ أن كل هذه الظواهر المورفولوجية تجري وفقاً لقوانين وأساليب خاصة وهذه الأساليب والأوضاع تسمى كذلك بالظواهر والأوضاع الاجتماعية المورفولوجية.

بمعنى أن كل مجتمع من المجتمعات مهما كانت درجة تحضره، يسير وفقاً لأساليب خاصة وأوضاع معينة، مثل اختيار مواقع المدن وتخطيطها ونشأتها واتساعها وتطورها، وتوزيع أفرادها على أحيائها السكنية والتخلخل والكثافة السكانية، وكذلك نشأة القرى والهجرة منها إلى المدن وبالعكس...

وهذه الأمور هي ظواهر اجتماعية، تخضع لقوانين معينة.

ما هي إذن الصفات الذاتية التي تميز هذه الظواهر الاجتماعية عن ظواهر العلوم الأخرى، حتى نستطيع أن نميز موضوع علم الاجتماع من غيره من الموضوعات؟

<u>صفات الظاهرة الاجتماعية</u>

لقد خصص دوركايم جانباً كبيراً من كتابه: "قواعد المنهج في علم الاجتماع" لتحديد ماهية الظاهرة الاجتماعية.

وعمل على تفنيد كل ما أثير من شكوك حول استقلالية علم الاجتماع .فتحدث في:

- الفصل الأول: عن طبيعة الظواهر الاجتماعية

hadeel alnafea

- تعريف الظاهرة الاجتماعية
- خصائص الظاهرة الاجتماعية
- كيفية التعامل معها
- الوجود الخارجي للظاهرة

وجد دوركايم أن ثمة ظواهر معينة في الحياة الاجتماعية يتعذر تفسيرها في ضوء التحليلات النفسية أو الطبيعية.

فهناك أنماطاً من السلوك، وضروباً من التفكير والشعور، تتميز بأنها خارجة عن الفرد، كما تتمتع بقوة قهر.

والأمثلة عن هذه الظواهر عديدة :قواعد الأخلاق، الأسرة، الممارسات الدينية، السلوك المهني، اللغة، النقود،.....

تمتاز الظواهر الاجتماعية بصفات ذاتية أهمها :-

1. الظواهر الاجتماعية ظواهر إنسانية تنشأ بنشأة الاجتماع وبهذه الصفة تتميز هذه الظواهر عن الظواهر التي تدرسها علوم الرياضة والفلك والطبيعة والكيمياء، والبيولوجيا العامة والجيولوجيا والجغرافيا.

ومادام الاجتماع الإنساني يعتبر مملكة صغيرة داخل مملكة الكون كله (داخل الطبيعة)، وقد ثبت أن ظواهر هذه المملكة الأخيرة (الطبيعة) خاضعة لقوانين ثابتة ضرورية وصلت إليها طائفة غير قليلة من العلوم الوضعية ، فليس ما يمنع من تطبيق هذا المبدأ على مملكة الإنسان بمعنى أن ما يكون صحيحاً بالنسبة للكل يكون صحيحاً بالنسبة للجزء.

وبذلك تكون الظواهر الاجتماعية خاضعة لقوانين شأن ظواهر العلوم الأخرى والبحث عن هذه القوانين ودراستها يجب أن يكون موضوعاً لعلم مستقل هو علم الاجتماع.

2. تمتاز الظواهر الاجتماعية بأنها عبارة عن أساليب وقوالب وأوضاع للتفكير والعمل الإنساني .
وتلك الخاصية تحدد الصفة الإنسانية كإطار للظاهرة الاجتماعية.
فيسير عليها الأفراد في مختلف شؤونهم المتعلقة بالأسرة والمعاملات الاقتصادية والأوضاع السياسية والطقوس الدينية والمعايير الأخلاقية.

3. تمتاز الظواهر الاجتماعية بأنها ظواهر موضوعية أي شيئية ولها صفة الخارجية، أي لها وجوداً خاصاً خارج شعور الأفراد، وهذه أول صفة يذكرها كتابه قواعد المنهج ، ويقصد دور كايم بهذه الصفة أن الظاهرة الاجتماعية موجودة في المجتمع خارج شعور الفرد كحقيقة موضوعية (شيئية) دائمة، وتنتقل من جيل إلى جيل، وهي ثابتة لا تتغير بتغيير الأفراد إلا في حدود ضيقة وهى سابقة في الوجود على الوجود الفردي بمعنى أن الأفراد منذ ولادتهم يخضعون لنظم وظواهر اجتماعية سابقة على وجودهم في هذه الحياة.

القول أن للظواهر الاجتماعية وجوداً خارج شعور الأفراد ، يعني أنها ليست من صنعه، بل هو يتلقاها من المجتمع الذي نشأ فيه.

وهي ليست وليدة التفكير الذاتي، لأنها هي التي تكون هذا التفكير لدى مختلف الأفراد بطابع متجانس إلى حد كبير أو قليل، حسب درجة التقدم التي وصل إليها المجتمع.

فالغاية الأساسية لعلم الاجتماع هي تحقيق الموضوعية .وما دامت الظواهر الاجتماعية موضوعية على هذا النحو فإنها تصبح مثل الأشياء.

وباختصار: يقصد دوركهايم بالصفة الخارجيّة وجود هذه الظواهر في اللُغة والدين والاقتصاد والقانون ... ودوامها من جيل إلى جيل، وعدم تأثرها بتغيير الأفراد ؛ وذلك لكونها مُستمرّة وبشكل معيّن ، ويولد الأفراد ليجدوها سابقة على مولدهم ، ويعرفونها ويأخذون بها عن طريق التعليم والتنشئة الاجتماعية.

ويستدل دوركهايم على خارجية الظواهر بشواهد وأمور كثيرة أهمها:

أ- أن الظاهرة الاجتماعية منفصلة عن تجسداتها الفردية، أي عن صور انعكاسها في شعور الأفراد وفي أعمالهم. وليس بالضرورة أن تتحقق الظاهرة الاجتماعية بصورتها الكاملة في التطبيقات الجزئية (الحالات الفردية)، والدليل على ذلك أنه من الممكن وجود ظواهر دون أن يطبقها الأفراد بالفعل.

ب- أنّ معظم الظواهر الاجتماعية مكتوبة وأغلبها مُدوّن في كُتب ودساتير وقوانين موضوعة تحدد وتثبت وجودها الواقعي، وهذا ما نجده مثلاً في النظم التشريعية والدينية والأسرية والظواهر اللغوية والأمثال الشعبية، وأصول العقيدة والدين والسياسة واللغة. ذلك أن للدين كتباً منزلة وللسياسة دستوراً، وللغة قواعد وآداباً....

ج- بعض هذه الظواهر الاجتماعية يمثل إرثاً إنسانياً ورثه الأفراد عن الأجيال السابقة ولتزمون حدوده ومراسيمه ويحققونه في حياتهم العملية ويسيرون عليه في شئونهم الاجتماعية.
وهذا يتحقّق عمليّا في العادات والأعراف والتقاليد التي تظهر بشكل واضح في مناسبات معينة مثل الأعياد والمواسم.

د- تبدو الظواهر الاجتماعية في صورة اتجاهات وتيارات يمكن تحديدها كمياً وكيفياً .وهي تشكل موجات فعليّة تظهر في المجتمع مثل الإقبال على الانتحار أو الطلاق في بعض الظروف الاقتصادية؛ وازدياد ظواهر الإجرام والتشرد والتسوق، أو الإكثار من النسل ... ، وهي موجات يمكن تحديدها تحديداً إحصائيا.

4. تمتاز الظواهر الاجتماعية بأنها تلقائية ليست من صنع فرد أو أفراد، وإنما هي من صنع المجتمع ومن خلقه وتظهر على مسرحه بصورة تلقائية ومن وحي" العقل الجمعي". فالنظم والأوضاع قد نشأت منذ نشأة الحياة الاجتماعية بصفة طبيعية .وعلى هذا فالظواهر الاجتماعية تنطوي على صفات ذاتية من جنس خاص جداً، وتنحصر هذه الظواهر في ضروب السلوك والتفكير والشعور وهي توجد خارج شعور الفرد وقد زودت بقوة قهر تمكنها من فرض نفسها عليه.

5. تمتاز الظواهر الاجتماعية بأنها ظواهر عامة وخاصة العمومية من الخواص التي أكد عليها دوركايم في كتابه قواعد المنهج ويقصد دور كايم بالعمومية الانتشار في داخل المجتمع.
وهي بذلك تشترك مع ظواهر الطبيعتين الحيوية والنفسية.
الظاهرة لا تكون عامة إلا إذا كانت اجتماعية، أي تشكل حالة من حالات الجماعة، وتتحقق لدى الأفراد لأنها تفرض عليهم فرضاً.

وتتخذ العمومية ثلاثة مظاهر وهي :-

- أن يكون انتشارها في نماذج اجتماعية مختلفة.
- أن يكون انتشارها في طائفة من المجتمعات التي تتشابه في ظروفها الطبيعية والمورفولوجية والاجتماعية (أي مجتمعات من نوع واحد).
- أن تنتشر الظواهر الاجتماعية في محيط مجتمع معين في جميع هيئاته وطبقاته وريفه ومدنه.

hadeel amira

6. تمتاز الظواهر الاجتماعية بأنها مزودة بصفة الجبر والإلزام ، أي بقوة قاهرة تفرض نفسها فرضاً على الأفراد ولا يسع هؤلاء أن يخالفوها ، فإذا حاول فرد أن يجرى في سلوكه وأعماله على أساليب وأوضاع تخالف ما رسمه المجتمع في مختلف شئونه السياسية والقضائية والأسرية شعر الفرد بخطورة اتجاهاته.

ويعتبر دور كايم صفة القهر والإلزام أهم الصفات لأنها هي التي تؤكد على موضوعية الظواهر الاجتماعية ، وهي بهذه الصفة تشبه ظواهر العلوم الأخرى ولذلك تصبح هذه الصفة صفة علمية عامة تشترك فيها على قدم المساواة مثل الظواهر الكونية والحيوية والنفسية والاجتماعية.

تعريف الظاهرة الاجتماعية

وبعد تحديد هذه الصفات ينتهي دور كايم إلى تعريف الظاهرة الاجتماعية بأنها عبارة عن السلوك العام واتجاهات وأساليب وأوضاع يصب فيها الإنسان تفكيره وأعماله ، وليست هذه الظاهرة من صنع فرد أو بضعة أفراد ولكنها من صنع المجتمع وهى عامة ولها كيان خاص مستقل عن الصور التي تتشكل بها في الحالات الفردية ومزودة بقوة ملزمة مجبرة.

<u>ثانياً: تبويب الدراسات الاجتماعية وتحديد فروعها</u>

عرض دوركايم لتبويب علم الاجتماع في بحث شهير له عنوانه: «علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية»

وقد نشر هذا البحث مع بحوث أخرى في مناهج بعض العلوم كتبها أعلام المفكرين، في كتاب عنوانه: «المنهج في العلوم»

أن هذا الموضوع له أهمية كبيرة لارتباطه بتحديد ميدان الدراسات الاجتماعية ، فمن الممكن أن نحدد الدعائم الأساسية التي يقوم عليها مثل هذا التبويب.

ولعل أول مسألة تصادفنا هي دراسة المجتمع البشري من الناحية الخارجية.

لأن المجتمع بصفة أساسية يتكون من رقعة ارض تختلف مساحتها اتساعا وضيقاً ، وتختلف من حيث تضاريسها وبنيتها الجغرافية وظروفها الطبيعية وتختلف أيضا من حيث الخصوبة والجذب ، أن هذه الأمور تؤثر تأثيراً مباشرا في مختلف مظاهر النشاط الاجتماعي.

هذه الناحية الخارجية للمجتمع يجب أن تكون موضوعا أساسيا لعلم اجتماعي يدرسها ويحللها ، ويسمى دور كايم هذا العلم بـ(المورفولوجيا الاجتماعية) أو علم البنية والتركيب الاجتماعي ، ويجب إلا تقتصر دراسات هذا العلم على الناحية الوصفية فحسب ، بل ينبغي أن يشرح ويحلل ويصل إلى الأسباب العميقة الكامنة في طبيعة الحياة الاجتماعية.

فمن الأمور التي ينبغي أن يوجه لها مزيد من عنايته معرفة أسباب تكاثف السكان في جهات معينة دون الأخرى ، وموضوع الهجرة من الريف إلى المدن وبالعكس، والعوامل التي تساعد على نمو المدن أو تؤدى إلى انحلالها والمسائل المتعلقة بتخطيط المدن وقيام الوحدات المحلية والريفية.

ويضع دور كايم الاجتماع الديني على رأس فروع هذا العلم لأنه يعتقد أن الدين هو أهم الظواهر الاجتماعية واقوي دعائمها ، وأن العقائد والطقوس والعبادات وما إليها تفرض نفسها بقوة على المجتمع وتجعل من أفراده وحدة حية متماسكة.

وتعتبر الظواهر الأخلاقية مجموعة من الأحكام والعادات والتقاليد التي يخضع لها الأفراد في معاملتهم مع بعض فلا أقل من أن تكون موضوعا لشعبة اجتماعية هي علم الاجتماع الأخلاقي ، وبعد الأخلاق يذكر دور كايم الاجتماع القضائي أو القانوني ، فالناحية التشريعية والقضائية تمثل ناحية هامة من نواحي الحياة الاجتماعية.

وبعد ذلك يذكر دور كايم النظم الاقتصادية وهى النظم المتعلقة بظواهر إنتاج الثروات وتبادلها وتوزيعها واستهلاكها ، وتكون هذه الموضوعات مادة علم الاجتماع الاقتصادي

ويقول دور كايم أنه بجانب هذه الفروع الأساسية ينبغي أن يقوم علم الاجتماع اللغوي الذى يدرس الظواهر اللغوية دراسة وصفية تحليلية لأن اللغة حقيقية اجتماعية ، فهي ظاهرة اجتماعية ومظهرها من مظاهر حياة الجماعة وهى من أهم العناصر المميزة للمجتمعات.

وبجانب اللغة يقوم الفن الذى يمثل الناحية الجمالية في المجتمع ومعايير أذواق الأفراد وفنونهم من شعر ونثر وخطابة ونحت وتصوير ، فينبغي أن تكون موضوعا لعلم اجتماعي خاص هو علم الاجتماع الجمالي.

ويلخص دور كايم بعد ذلك تبويبه في تقسيمات ثلاثة هي :-

1) القسم الأول: المورفولوجيا الاجتماعية ويشمل:-
- دراسة جغرافية للبيئة وسكانها وعلاقة ذلك بالتنظيم الاجتماعي.
- دراسة السكان من حيث التخلخل والتوزيع على المساحة وما يتصل بذلك.

2) القسم الثاني: علم الوظائف الاجتماعية ويشمل:-
- الاجتماع الديني
- الاجتماع الأخلاقي.
- الاجتماع القضائي.
- الاجتماع الاقتصادي
- الاجتماع اللغوي.
- الاجتماع الجمالي.

3) القسم الثالث: علم الاجتماع العام وهو فلسفة العلم

hadeel amera

المحاضرة الثانية عشر بعنوان

الفلسفة الاجتماعية عند دوركايم جزء (2)

عناصر المحاضرة

ثالثاً: أسس للدراسة الاجتماعية ومناهج البحث.

رابعاً: أشهر النظريات الاجتماعية التي عالجها.

خامساً: نقد نظرياته.

ثالثاً: أسس الدراسة ومنهج البحث.

وأهم ما ينبغي الإشارة إليه من أسس الدراسة هو ما يلي:-

1. يجب دراسة الظواهر الاجتماعية باعتبارها أشياء بمعنى أنها تعالج كما تعالج الظواهر الوضعية الأخرى ، وفى ضوء هذا الاعتبار تتحقق موضوعية الظاهرة وشخصيتها العلمية.
2. يجب على الباحث أن يتحرر من كل فكرة سابقة يعرفها عن الظاهرة موضوع الدراسة حتى لا يقع أسيرا لأفكاره الشخصية ومدركاته السابقة ، ويجب عليه أن يتحرر من تلك الآراء الكاذبة التي يتوارثها الأفراد بصدد شئون الحياة الاجتماعية ، لن هذه الأفكار السطحية قد تكونت دون منهج معين ، فليس لها أية دلالة علمية أو قيمة موضوعية.
3. يجب على الباحث أن يبدأ بتعريف الظواهر التي يتخذها مادة لدراسته لأن الإنسان لا يستطيع أن يتحقق من صدق نظرية ما ، إلا إذا قام بتحديد الظواهر التي ينبغي أن تفسرها هذه النظرية ، وان تعريف هذه الظاهرة يؤدى بالباحث إلى الوقوف على عناصرها الأساسية التي تفسر وجودها وتكشف عن طبيعتها وتعين أشكالها المختلفة.
4. يجب على الباحث عند دراسته لطائفة خاصة من الظواهر الاجتماعية أن يبذل قصارى جهده في ملاحظة هذه الظواهر من الناحية التي تبدو فيها مستقلة عن صورتها الفردية.

فكلما تحررت الظواهر الاجتماعية من الصور الفردية التي تتشكل فيها استطاع الباحث كشف طبيعتها وإدراك حقيقة أمرها، ويتبع هذه القاعدة أن الباحث لا يتأثر بمشاعره الخاصة أو بتجربته الشخصية عند دراسة موضوع اجتماعي.

هذه هي أهم أسس الدراسة التي نبه إليها دور كايم أما فيما يتعلق بقواعد وخطوات المنهج فتتلخص في:-

- دراسة نشأة الظاهرة والوقوف على عناصرها فلا يمكن فهم طبيعتها إلا بتحليلها إلى عناصرها المكونة.
- دراسة تطور الظواهر والوقوف على مختلف أشكالها فلا يقتصر في شرح الظاهرة على حالتها الحاضرة ولكن ينبغي الرجوع إلى الماضي وربطه بالحاضر.
- دراسة العلاقات التي تربط الظاهرة بما عداها من الظواهر التي تنتمي إلى شعبتها ، ولا بأس من دراسة علاقتها بظواهر أخرى ليست من فصيلتها.
- الانتفاع بمنطق المقارنة في دراسة الظواهر.
- الكشف عن الوظيفة الاجتماعية التي تؤديها الظاهرة ومدى ما خضعت له هذه الوظيفة من تطور.

❖ تحديد القوانين التي يصل إليها الباحث من دراساته ويجب صياغة هذه القوانين بدقة لأنها هي التي تكون مادة العلم ويفضل دقتها وضبطها ويتعين مركزه بين سائر العلوم.

والخطوات المشار إليها تدلنا على أن الدراسة في علم الاجتماع يجب أن تكون دراسة تاريخية مقارنة، ولذلك كانت الدراسة التاريخية لازمة وضرورية لفهم أصول النظم الحاضرة ووضع النظم المستقبلية على أساس سليم ، وتتخذ المقارنة صوراً ثلاثاً هي:-

- أن تكون المقارنة بين نظم وظواهر في مجتمع واحد.
- أن تكون المقارنة بين نظم سائدة في مجموعة من المجتمعات المتجانسة من حيث الدرجة والنوع.
- أن تكون المقارنة بين نظم سائدة في مجتمعات متمايزة وغير متشابهة ولست من شكل اجتماعي واحد.

رابعاً: أشهر النظريات الاجتماعية التي عالجها

1) نظريته في شؤون الاجتماع.

طبيعة المجتمعات وأشكالها: يمكننا تقسيم المجتمعات كلها بصفة عامة إلى قسمين وهما:

مجتمعات محدودة النطاق: ساذجة ، وبسيطة غير معقدة التركيب وغير مميزة الوظائف وغير خاضعة لمبدأ توزيع العمل وذلك مثل الترابطات أو الاجتماعات الإنسانية الأولي التي لا نجد فيها تمييزا بين الوظائف ، فليس ثمة هيئة خاصة تقوم بشئون الاقتصاد أو بالتشريع أو بالتربية ولكن كتلة المجتمع كلها تقوم في آن واحد بكل شئون الاقتصاد والسياسة والتشريع.

ويذهب دور كايم إلى أن أول شكل اجتماعي يمكن تصوره أو افتراضه لنشأة الحياة الاجتماعية هو الترابط ثم العشيرة ثم الاتحاد وأخيرا القبيلة ، ويذهب دور كايم كذلك إلى أن الدين هو أقوى مظاهر الحياة الجمعية في هذه الأشكال ويسمى دور كايم هذه الأشكال (المتجمعات البدائية).

مجتمعات واسعة النطاق: معقدة التركيب ومميزة الوظائف وتخضع لمبدأ توزيع العمل وهي ما يسميه دور كايم بالمجتمعات التاريخية ويضرب لها مثلا نظام المدينة (كالمدن اليونانية والرومانية) والإمبراطوريات القديمة (كالإمبراطورية الرومانية) وفي هذه المجتمعات تتوزع الأعمال وتتنوع الوظائف وتزيد درجات التخصص ويصبح الفرد أداة من أدوات الإنتاج وعنصرا من العناصر الاجتماعية أما النماذج الحديثة فيغلب عليها سلطة القانون وقوة التعاقدات والمعاملات القانونية.

2) نظريته في الدين

تقوم نظرية دور كايم في الدين على أساس تقسيم الظواهر الدينية إلى قسمين:

- القسم القدسي: وهو الذى يتعلق بالعقائد وما يتصل بها.
- القسم العلماني: وهو الذى يتعلق بالطقوس والعبادات وما يتصل بها.

ويقصد بالقسم القدسي كل شيء من نظريات الديانات يكون من طبيعة تختلف اختلافا جوهريا عن أشياء العالم العلماني ، فقد يدخل في هذا القسم (الآلهة والكائنات الروحية والنصوص الدينية والأحجار المقدسة) فكل ما يمتاز به القسم القدسي أنه من طبيعة تختلف اختلافا جوهريا عن الأشياء العلمانية.

hadeel alnafea

أما القسم العلماني في نظريته فهو عبارة عن الأعمال والطقوس التي تنظم سلوك الإنسان حيال القسم القدسي ويتمثل هذا القسم في الصلاة والصوم والحج والدعاء والزكاة وما يلجا إليه الإنسان من حركات وأعمال لتفسير موقفه من كائنات القسم الأول.

ودرس دور كايم أصول الديانات الإنسانية ووجد أن المفكرين ذهبوا بصدد هذا الموضوع إلى مذهبين : المذهب الطبيعي والمذهب الروحي.

ويرى أنصار المذهب الأول أن الإنسانية اتجهت في فجر نشأتها إلى عبادة مظاهر الطبيعة التي تتمثل في الشمس والكواكب والقمر والنار والأشجار وما إليها.

ويرى أنصار المذهب الروحي أن الإنسانية في بدء تدينها لجأت إلى عبادة الكائنات الروحية التي تتمثل في الآلهة والملائكة وأرواح الموتى.

3) نظريته في المعرفة الإنسانية :

وطبق دور كايم نظريته على المقولات أو المبادئ العقلية مثل:

فكرة الزمان والمكان والجنس والعدد والجوهر وما إلى ذلك من المعاني الكلية.

فالتقسيم الزماني قسمه إلى أيام وأسابيع وشهور وسنين يطابق التكرار الزمني لمواعيد الطقوس والأعياد والحفلات العامة.

وكذلك الحال بصدد فكرة المكان فقد كان التنظيم الاجتماعي نموذجا للتنظيم المكاني ، وكان الثاني نتيجة طبيعية للأول.

وفى هذا النطاق الاجتماعي يمكننا أن نفسر كثيرا من المبادئ العقلية ومقولات التفكير كفكرة الجنس ، فمعنى الجنس يتضمن القرابة بين الأنواع ومعنى النوع يتضمن القرابة بين الأفراد ، ومعنى العلة يتضمن وجود قوة موحدة ، ومعنى الكلي يتضمن مجموع الموجودات ، ومعنى الواجب ينطوي على معنى السلطة وهذه كلها أمور اجتماعية ولا يمكن تصورها بعيدا عن المجتمع.

درس دور كايم الأسرة بوصفها أول خلية في المجتمع وانتهى من دراسته إلى أن الاجتماع الأسري لا يقوم على الغريزة ودوافع الطبيعة والقرابة ولكن هذا الاجتماع يقوم على قواعد وأساليب يرتضيها العقل الجمعي وتدعو إليها الحياة الاجتماعية ، وقرر بصدد دراسته لنطاق الأسرة أنه تطور من الاتساع إلى الضيق.

وكان لهذا التطور أثره في وظائف الأسرة فقد تطورت هذه الوظائف من الأوسع إلى الواسع ثم إلى الضيق فالضيق ، فكانت الأسرة القديمة أشبه بمملكة مستقلة تقوم بمختلف الوظائف الاجتماعية وهي التي تقوم بشئون الإنتاج والتوزيع والاستبدال الداخلي والخارجي، وكان رئيس الأسرة هو حاميها ومحاميها ومربيها وكاهنها.

ثم اخذ المجتمع ينزع من الأسرة هذه الوظائف فانتزع منها وظيفتها السياسية وجعلها من اختصاص الدولة وانتزع منها الوظيفة التشريعية وجعلها من اختصاص البرلمان، والوظيفة القضائية وجعلها من اختصاص المحاكم، والوظيفة التربوية وجعلها من اختصاص المدارس، وهكذا شأنه بصدد باقي الوظائف ، ولم يبق للأسرة إلا على وظيفتها الأخلاقية فهي في نظر دور كايم الوظيفة الأساسية.

وتدور هذه الوظيفة حول عمليات التنشئة الاجتماعية ، ودرس دور كايم محور القرابة في الأسرة وقرر في هذا الصدد أن القرابة لا تحددها صلات الدم ولا الروابط الطبيعية، إنما تخضع لما يتواضع عليه المجتمع من نظم وما يقره العقل الجمعي من أوضاع.

nader alnafea

4) نظريته في الانتحار:

درس دور كايم ظاهرة الانتحار والواقع أن الانتحار في ذاته مرتبط اشد الارتباط بالحالة الاقتصادية والدينية والعرف والتقاليد وما إلى ذلك من شئون الحياة الاجتماعية.

واعتمد دور كايم في دراسته على البحث عن العوامل الاجتماعية الكامنة في طبيعتها ، وهذه العوامل عبارة عن أسباب خارجة عن ذوات الأفراد تنشأ من طبيعتها ، وهذه العوامل عبارة عن أسباب خارجة عن ذوات الأفراد تنشأ من طبيعة الظروف المحيطة بالمجتمع وهي أسباب عامة وواحدة في فترة معينة، وقد تكون هذه الأسباب الاجتماعية مرتبطة بالأزمات الاقتصادية والدينية والسياسية.

وبانهيار الروابط الأسرية وقيام الحروب والثورات وما إلى ذلك من الأمور العامة في المجتمع ، وصل دور كايم من وراء دراسته إلى قانون اجتماعي ملخصه أنه كلما قويت هذه الهيئات الثلاث (الدين والأسرة والدولة) واشتدت سلطتها على الأفراد الذين ينتمون إليها كلما قل عدد المنتحرين.

ولكن إذا اضعف كيانها ووهنت سلطتها واضمحل نفوذها تحرر الأفراد من رقابتها وانهار الشعور الجمعي في نفوسهم وتغلت الروح الفردية ولا يجدون في نفوسهم أثرا للوازع الديني أو العائلي أو القومي ومن ثم يتصرف الأفراد حسب إرادتهم الخاصة وهنا يكثر الانتحار.

خامساً: نقد آرائه

وجهت إلى العلامة دور كايم انتقادات كثيرة حول نظرياته منها:-

أن صفة الجبر والإلزام التي تتميز بها الظواهر الاجتماعية تجعل من الفرد رقيقا للمجتمع وتقضى على حريته وتحط من قيمته الأخلاقية والعقلية ، فالفرد إذ يؤدي عملاً من الأعمال لا يؤديه لكنه يدرك معقوليته أو خبرته ولكن لأنه مفروض عليه بنوع من القهر والإلزام

أغفل دور كايم عند تقسيمه للعلوم الاجتماعية الخاصة نواحي هامة ما كان ينبغي أن يهملها فتراه لم ينشئ فرعا لدراسة النظم الاجتماعية البدائية أو دراسة المجتمعات المتأخرة مع أنه هو نفسه يعتمد في كل دراسته اعتمادا كليا على هذه المجتمعات.

تقسيم دور كايم للمجتمعات تقسيم ناقص فقد وقف عند الإمبراطوريات القديمة وكان من الواجب أن يضع في تصنيفه المجتمعات الإقطاعية ونشأة القوميات والدول الحديثة ثم الإمبراطوريات الاستعمارية الحديثة ونشأة الوحدات الإقليمية والدولية.

نظريته في المعرفة تحط من قيمة العقل الأخلاقية ولا تفسر لنا طبيعته فإنها لا تتناول طبيعة العقل فى ذاته بالبحث والتحليل ولا تمس جوهره ولكنها تقرر وجوده على نحو ما وتعني بالبحث عن أصول المعاني والمبادئ اللازمة لعمله.

لا يمكن التسليم بصحة نظريته في الدين لأن نظريته لم توفق إلا في الطقوس والعبادات ولكنها لا تقوى على تفسير ظواهر النبوة والوحي والمعجزات وخوارق الطبيعة ونزول الرسالات عن الذات الإلهية وهذه الظواهر هي الدعائم الأساسية التي ترتكز عليها الديانات السماوية المنزلة التي تعتنقها معظم المجتمعات الإنسانية وهي اليهودية والمسيحية والإسلام.

nadeel almatra

يؤكد دور كايم طبيعة الأسرة الاجتماعية ويضغط على وظيفتها الأخلاقية ويغالي في تقديرها غير أن للأسرة بجانب ذلك وظائف أساسية لا غني عنها يتعلق بعضها بالناحية البيولوجية وحفظ النوع ودوام بقائه ، ويتعلق البعض الآخر بصقل النشء للاستجابة مع مطالب هذه الحياة.

وإذا قارنا بين بحوث دور كايم وبحوث أرسطو لا تخلو من طرافة ودقة في التحليل فقد اعتبر الأسرة أول خلية في بناء المجتمع، وهى أول اجتماع تدعو إليه الطبيعة، ثم أين هي مشكلات الأسرة؟ وكيف ندرؤها .ولم يعالج دور كايم ما كان ينبغي عليه أن يعالجه.

hadeel almafea

المحاضرة الثالثة عشر بعنوان

الاتجاهات المعاصرة في التفكير الاجتماعي المبحث (12) والأخير

عناصر المحاضرة

- أولاً: في فرنسا
- ثانياً: في ألمانيا
- ثالثاً: في انجلترا
- رابعاً: في أمريكا

الاتجاهات المعاصرة في التفكير الاجتماعي

❖ أولاً: في فرنسا

نجد في فرنسا أن أتباع دور كايم وتلاميذه المباشرون قد حملوا رسالة أستاذهم الأول، وتابعوا دراساته ولم يتركوا ناحية من نواحي المجتمع إلا وعالجوها في ضوء منهج أستاذهم مع قدر من الأصالة الشخصية، وهذه ميزة كبرى للمدرسة الفرنسية الاجتماعية فقد حققت هذه المدرسة التفكير الاجتماعي وجعلت من علم الاجتماع علما تكامليا.

نلاحظ أن علماءها قد ربطوا بين مختلف الدراسات الإنسانية وبين علم الاجتماع، فعالجوا الظواهر المورفولوجية والانثربولوجية والجغرافية والدينية والسياسية والاقتصادية والقانونية واللغوية والنفسية والفنية وظواهر الحياة في ضوء المنهج الاجتماعي.

وأشهر من درس المورفولوجيا الاجتماعية ثلاثة من أقطاب المدرسة، هم:

- «بوجليه» في كتابه (نظام الطوائف)
- «هلفاكس» في كتابه (المورفولوجيا الصناعية)
- «جورفيتش» في كتابه (دروس في الاجتماع)

كما كان للمدرسة الفرنسية إسهامات عديدة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، وعلم الاجتماع الديني، وفي ميدان السياسة والاقتصاد، والدراسات اللغوية، والدراسات النفسية.

أي أن علماء المدرسة الفرنسية الاجتماعية عالجوا جميع المسائل في ضوء المنهج الاجتماعي.

❖ ثانياً: في ألمانيا

لا نجد في ألمانيا علم اجتماع بالمعني المفهوم ولكننا نجد فلسفة اجتماعية وفلاسفة اجتماعيين، ويمكننا أن نميز بين مفكري الألمان تيارين وهما:-

أحدهما يتجه نحو هدم الفلسفة الهيجلية، والثاني يرمي إلى اختبار حقائق ماركس وتفنيد مبادئها.

وقد مثل الاتجاه الاول عالمان اثنان «جاكوب» و «ديلتاي».

hadeel alnafea

- الاول: يؤمن بضرورة تحليل ظواهر الاجتماع في ضوء تحليل الظواهر التاريخية.
- الثاني: يهتم بدراسة علم النفس الوضعي وكان من أنصار المدرسة الجشتالطية لعلم النفس.

أما أنصار الاتجاه الثاني فهم علماء الذين أقاموا دعائم الحركة العلمية الاجتماعية في ألمانيا ولا يكاد يذكر علم الاجتماع في ألمانيا إلا مقرونا بأسمائهم وأجدرهم بالذكر والتنويه ما يلي:-

1) جورج سيمل George Simmel :

الذي نقد ماركس وتحليله الاقتصادي وقرر في هذا الصدد أن الظاهرة الاقتصادية لا يمكن أن تفهم فهما صحيحا بدون دراسة القوى النفسية والعقلية والروحية والأخلاقية والسياسية التي تؤثر في السلوك الاقتصادي للمجتمعات.

ويسمي سيمل مجموعة الآثار والعلاقات المتبادلة أو «بالطريقة الاجتماعية» بين مختلف هذه النظم «المنهج الاجتماعي».

وقد طبق نظريته في دراسته لنظم النقود ووظائفها الاقتصادية والاجتماعية.

واعتبر المنهج الاجتماعي منهجاً كلياً عاماً يجب تطبيقه في كل ميادين الدراسة.

وقد قسم علم الاجتماع إلى علم الاجتماع الصوري؛ علم الاجتماع العام؛ علم الاجتماع الفلسفي.

2) ماكس فيبرMax Weber :

من أشهر مؤرخي القانون في ألمانيا، وعالم من علماء السياسة والاقتصاد ثم الاجتماع.

وجه مزيد من اهتمامه إلى دراسة شئون الاجتماع الإنساني واهتم بتحليل العلاقات التي تربط الاجتماع بالتاريخ والاقتصاد والدين، ودرس أثر الدين في الاقتصاد.

3) تونيس:

أشهر علماء الاجتماع وأقوى دعائم العلم.

وجه عنايته الى دراسة الأشكال الاجتماعية من الناحية المورفولوجية والديناميكية.

وفرق بين المجتمعات البدائية والمجتمعات المتحضرة ودرس المجتمعات الرأسمالية وغير الرأسمالية من الناحية الاقتصادية والاجتماعية.

4) هانز فراير:

أبرز علماء ألمانيا المعاصرين، والحركة النازية، والداعين إلى أهدافها السياسية.

وقد وصف علم الاجتماع بأنه العلم الحق وقرر أن من أهم وظائفه دراسة مظاهر الصراع القائم بين المجتمعات المعاصرة.

5) أميل ليدرر:

الذي أعطى مزيد من اهتمامه إلى دراسة الاقتصاد الاجتماعي ودرس كذلك النواحي المتعلقة بالثقافة واللغة والفن.

hadeel alnafea

وبرز أيضا في ألمانيا حركة علمية تعرف باسم «فلسفة الظواهر» وقد نادى بها «هوسرل» وتزعمها ايضا من بعده «ماكس شيلر».

تسعى هذه الحركة لدراسة الظواهر الاجتماعية والكشف عن حقيقتها في الشعور والإدراك.

❖ ثالثاً: في انجلترا

نجد في انجلترا تيارات كثيرة بصدد الدراسات الاجتماعية، ويمكننا أن نميز بين علماء الاجتماع الانجليز بالطوائف الآتية:-

1. طائفة تأثرت بالفلسفة الوضعية الزاحفة من فرنسا.

اهتم علماء الاجتماع الإنجليز بالمنهج الوضعي عند أوجست كونت، للكشف عن القوانين التي تؤثر في انتقال المرحلة الاجتماعية إلى أخرى لاحقة بها.

كما تأثروا بفلسفة كونت في الإنسانية ودراساته في التاريخ والطبيعة الاجتماعية المؤثرة في الثقافة والدين والاقتصاد.

2. طائفة ثانية تأثرت بفلسفة هربرت سبنسر وآخرين.
3. طائفة ثالثة اتجهت إلى دراسة العلوم الاجتماعية الخاصة وعالجت مختلف شئون الاجتماع بدون تمييز وعمل حدود فاصلة بين موضوعات هذه العلوم.
4. واتجهت طائفة رابعة نحو الدراسة الإنتاجية والانثربولوجية.
5. وبجانب المدارس النظرية المشار إليها نجد أن بعضا من علماء الانجليز اتجهوا اتجاها تطبيقيا وذهبوا في الدراسة والبحث إلى الميدان الاجتماعي وقد وجه هؤلاء عنايتهم إلى دراسة الظروف المحلية.

❖ رابعاً: في أمريكا

بعد الانتهاء من الحروب الأهلية واستقرار الأوضاع، قامت الجامعات، وتأسست كراسي علم الاجتماع، فتشجع المشتغلين بهذا العلم لدراسة وتنظيم الحياة الاجتماعية، لحل المشكلات التي تواجههم.

وقد حمل لواء الحركة الاجتماعية علماء يعتبرون من الرعيل الأول في أمريكا، أشهرهم «لستر وورد»، الذي اعتبر علم الاجتماع «علم العلوم» والعلامة الذي اهتم بدراسة العادات «جراهام سومر» والتقاليد والأعراف، والعلاقات الاجتماعية وفق قوانين خاصة بطبيعة الميدان الاجتماعي.

واتجه علم الاجتماع نحو النضج والاكتمال والتخصص بعد أن اجتازت هذه الدراسات مرحلة النشأة والتكوين والاستقرار بفضل علماء الصف الأول.

وكان لانتشار النظم الفاشية والنازية والشيوعية في أوربا، وما فرضته هذه النظم من حجر على الحركة الفكرية، ثم قيام الحرب العالمية الثانية، أثر كبير في هجرة عدد غير يسير من علماء الاجتماع البارزين في أوربا إلى أمريكا.

ومن الطبيعي أن يتبع حركة الهجرة هذه حركة علمية لترجمة الكتب الاجتماعية إلى اللغة الإنجليزية، للاطلاع على بحوث الغرب ونظرياتهم.

فانتشرت في أمريكا نظريات «كونت» و «دوركايم» وغيره من الفرنسيين والألمان.

hageralnafea

وبرز علماء قادوا الحركة على رأسهم «سوروكين» و «بارسونز».

وقد ساهمت الحكومة الأمريكية من خلال برامج المنح المالية في الإقبال على خدمة الميدان الاجتماعي.

كما لعب «مجلس البحوث الاجتماعية» دوراً مهماً في الإشراف على هذه البحوث والدراسات وتوجيهها ومساعدتها.

وكان أكبر أثر علمي لهذه المساعدات نشر «دائرة معارف العلوم الاجتماعية» و «القاموس الاجتماعي».

أهم موضوعات الدراسة التي تستأثر بمزيد من عناية علماء الاجتماع في أمريكا في الوقت الحاضر ما يلي:-

1) دراسات بيئية (سواء كانت ريفية أو مدنية)

وقد كان الدافع إلى هذه الدراسات سرعة نمو المدن الصناعية وزيادة مؤسساتها وتعقد العلاقات الاجتماعية فيها وتغير مستويات المعيشة بتغير الظروف الاقتصادية والسياسية وتبعا لزيادة عدد السكان، وما تبع ذلك من هجرة الأفراد من الريف إلى المدن ومن تحسن وسائل المواصلات ويهتم القائمون بهذه الدراسة بالمسائل المتعلقة بالجرائم وانحلال الروابط الأسرية وانخفاض المعايير الأخلاقية.

2) دراسات إثنوبولوجية وبحوث في أصول الثقافات وانتشارها:

وكان الدافع إلى هذه الدراسات زيادة تيارات الهجرة، ووجه القائمون بهذه الدراسات عنايتهم إلى بحث موضوعات التنافس والصراع.

3) دراسات اجتماعية للوحدات الإقليمية:

وتتناول هذه الدراسات بحث إقليم يمتاز بوحدته المورفولوجية وخصائصه الثقافية ونظمه الاقتصادية والعادات والتقاليد والسلوك السياسي.

4) دراسة التغير الاجتماعي:

واهتم القائمون بهذا المبحث بدراسة المخترعات الحديثة وأثرها في التغير الاجتماعي ودراسة ما طرأ على الحياة الاجتماعية من مظاهر التقدم في الأحوال المادية والمعنوية . ودراسة المعوقات التي تؤدي إلى التأخر الاجتماعي والثقافي.

وكان أقوى ممثلي هذا الاتجاه «أوجبرن»

5) دراسات عملية تطبيقية في الميدان الاجتماعي:

وهذه الدراسات تأثرت بالفلسفة البراجماتية، التي تفضل العمل عن النظر.

وقد اهتم العلماء بدراسة موضوعات علم النفس الاجتماعي

6) دراسات اجتماعية في الحروب:

من حيث نشأتها وأسبابها الكامنة في طبيعة المجتمعات البشرية والنظريات الاجتماعية.

hadeel alnafea

7) دراسات في مناهج البحث الاجتماعي:

فقد اهتمت طائفة من العلماء الاجتماع بالكشف عن وسائل جديدة في ميدان البحث الاجتماعي والارتقاء بطرق قياس الظاهرات الاجتماعية .وقياس العلاقات الاجتماعية التي اشتهرت باسم «السوسيومترية».

❖ خامساً: في روسيا

أن التفكير الاجتماعي في روسيا يرتبط ارتباطا وثيقا بالتاريخ السياسي، ويمكننا أن نلخص أهم اتجاهات التفكير الاجتماعي فيما يلي:-

- ✓ أولاً: المدرسة الفوضوية
- ✓ ثانياً: المدرسة الماركسية
- ✓ ثالثاً: مدرسة الدراسات الانتجرافية والانثروبولوجية
- ✓ رابعاً: مدرسة الدراسات القانونية
- ✓ خامساً: مدرسة القوة
- ✓ سادساً: المدرسة الاجتماعية

تم بحمد الله

مع خالص أمنياتي لكم بالنجاح والتوفيق ونيل أعلى الدرجات في الدنيا والآخرة..

أختكم في الله: هديل*

hadeelalmafaa